متولي موسى

تربية الأطفال في فترة الحضانة

كتاب الرائد

-٩-

بسم الله الرحمن الرحيم

متولي موسى

تربية الأطفال في فترة الحضانة

كتاب الرائد
-٩-

الطبعة الأولىٰ

ربيع الثاني ١٤١٠ للهجرة / تشرين الثاني نوفمبر ١٩٨٩

حقوق الطبع محفوظة للدار الإسلامية للإعلام

بون ـ ألمانيا

الإهـداء :

إلى روح أمي الحبيبة التي غرست في نفسي محبة الدين من الطفولة ،
وأخذت بيدي مُربّية ،
وأخذت بيدي منشّئةً ، وأمدّتني بحبها وحنانها وعطفها ..
إلى تلك الروح أقدم هذا الجهد المتواضع في تأليف هذا الكتيب ،
داعياً الله عز وجل أن ينزل على روحها وجدثها شآبيب الرحمة والمغفرة
والرضوان ...
رحمها الله تعالى ..

متولي

تربيـة الأجيـال عمليـة شغلت البـاحثين والمربّين في مواقعهم المختلفة... وتكوين الانسـان الصـالـح الربّاني هي غاية المنهج الاسـلامي في التـربيـة.. ونجـاح العمليـة التربيوية مرتبط بعلم المربي وموهبته وفنّه في استخدام العلم الذي يحمل...

والأستاذ متولي موسى من المربين الذين عاشوا العملية التربوية سنين عديدة، وخاصة في ديار الغرب؛ عايشها نظرياً وعملياً.. فقد قرأ وحاضر وناقش وناظر.. ثم كتب ـ وعلى مدى سنوات عديدة ـ في مجلة الرائد بحوثاً عديدة في هذا المجال الهام من حياة الإنسان

ويسـرّ الـدار الاسلامية للاعلام أن تقدم للاخـوة القراء هذا الكتاب الصغير في عدد صفحـاتـه، القيّم بمـا يحتـويـه من أبـواب وفصول تبحث في موضوع التربية من جوانب متعـددة بطريقـة منهجية وأسلوب جميل.. نسأل الله أن ينفع به ويؤجر صاحبه إنه سميع مجيب.

الدار الاسلامية للاعلام

محتوىٰ الكتـاب

الصفحة

الباب الأول : معنىٰ التربية وعلاقاتها بالتعليم

الفصل الأول : تحديد المصطلحات ١٤

١ ـ معنىٰ التربية

٢ ـ العلم

الفصل الثاني : تطور العملية التربوية ١٩

١ ـ طبيعة العملية التربوية

٢ ـ مذاهب الناس في التربية

الفصل الثالث : المؤثرات على تربية الطفل ٢٣

١ ـ المؤثرات المباشرة والغير مباشرة

٢ ـ العلاقة بين المؤثرات ووجود جهة رقابة

الفصل الرابع : التعليم بوصفه وسيلة تربوية وصفة للأة الإسلامية .. ٢٨

١ ـ التعليم وسيلة من أهم وسائل التربية

٢ ـ الأمة الإسلامية أمّة متعلمة ومعلّمة

الباب الثاني : المسؤولية عن تربية الطفل وتعليمه في فترة الحضانة

الفصل الأول : تحديد معنىٰ المسؤولية ومن المسؤول ؟ ٣٤

١ ـ معنىٰ المسؤولية

٢ ـ الحث على الإنجاب ومسؤولية حفظ الأنساب

٣ ـ بيان مسؤولية المربين

٤ ـ المسؤولية عن تربية اليتيم

الفصل الثاني : تحديد معنىٰ الحضانة ومن أحقّ بها ؟ ٤٢
١ ـ الحضانة لغة وشرعاً
٢ ـ التأثير المتبادل بين الطفل والحاضنة
٣ ـ من أحقّ بحضانة الطفل ؟

الباب الثالث : الطبيعة المزدوجة للمولود ورعاية فطرته وملكاته

الفصل الأول : حقيقة الطفل وطبيعة النشأة ورعاية الفطرة ٤٨
١ ـ حقيقة الطفل
٢ ـ طبيعة النشأة ورعاية الفطرة
الفصل الثاني : الرعاية البدنية والانفاق على الطفل والحاضنة ٥٣
١ ـ الفرح بميلاد الطفل وعدم التسخط عند موته
٢ ـ التأذين في أذنه وتحنيكه وتسميته وحلق رأسه ..
٣ ـ الانفاق على الطفل والحاضنة
الفصل الثالث : تنمية المواهب والملكات مع المحافظة على التوازن ... ٥٩
١ ـ تنمية مواهب الطفل وملكاته
٢ ـ تحسين أخلاق الأطفال
٣ ـ ضرورة المحافظة على التوازن

الباب الرابع : سلوك المربين وتعليم الأطفال والترفيه عنهم

الفصل الأول : سلوك المربين مع الأطفال ٦٨
١ ـ السلوك والمؤثرات عليه
٢ ـ الرحمة والرأفة بالطفل والحرص عليه
٣ ـ العدل في المعاملة

٤ ـ احترام الطفل وملاطفته
٥ ـ الشدة مع الطفل ومتىٰ تكون وكيف ؟
الفصل الثاني : دار الحضانة ودورها في حياة الطفل ٧٨
١ ـ ملاحظات عامة
٢ ـ مبنىٰ دار الحضانة وإدارتها
٣ ـ منهج العمل في دار الحضانة
الفص الثالث : تنمية عادة القراءة عند الطفل ٩٠
١ ـ القراءة بالقوة والقراءة بالفعل
٢ ـ تربية العادة أو الخلق
٣ ـ سلوك الأطفال تجاه الكتب
٤ ـ مكتبة خاصة بالطفل
٥ ـ عوامل تنمية عادة القراءة
الفصل الرابع : اللعب ودوره في حياة الطفل وتربيته ٩٩
ـ رخص الإسلام باللعب المباح ودلّت الخبرة على فائدته
ـ اللعب في فترة الحضانة
ـ اللعب خلال الفترة من سنّ السابعة وحتىٰ العاشرة
ـ اللعب خلال الفترة من بعد العاشرة وحتىٰ البلوغ
ـ دور المؤسسات الاجتماعية غير التقليدية في الالعاب

جدول الخطأ والتصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢١	٩	قواعد	وقواعد
٢٤	٣	وعاداتاته	وعاداته
٢٧	الحاشية(١)	دار الشرق	دار الشروق
٤٧	٨	للمارسة	للممارسة
٥٤	٣	وجاءت	وجاءته
٥٨	الحاشية(١)	النبداري	البنداري
٧٥	١٨	فينتقم الله	فيتقم لله
٧٦	السطر الأخير	دو أن	دون أن
٨٤	١٥	الأغراض	الأعراض
٨٥	٩	ماسمّاه	مما سمّاه
٨٨	٤	وكل ووسائل	وكل وسائل
٩٧	٧	مكرر	
١٠٧	١٢	للآة الإسلامية	للأمة الإسلامية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، « يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتّن إلاّ وأنتم مسلمون » « يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتّقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيبا » « يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وقولوا قولاً سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما »

أما بعد :

فالبنون من نعم الله التي ينعم بها على من يشاء من عباده ، وقد لفتنا الله تعالى إلى هذه النعمة في كتابه الكريم فقال عز وجل : « **واتّقوا الّذي أمدّكم بما تعلمون * أمدّكم بأنعام وبنين**»[1] كما بين سبحانه أنهم من زينة الحياة الدنيا فقال تباركت أسماؤه : « **المال والبنون زينة الحياة الدنيا**»[2] ، والسعيد حقاً من رزقه الله سبحانه ذرية صالحة .. كما أخبرنا سبحانه عن اشتياق عدد من الأنبياء والمرسلين للذرية الصالحة كما في قصة إبراهيم وزكريا عليهما السلام ..

والعبد المؤمن الذي رزقه الله الذرية يحرص على أن يربيها على الإسلام ، ويقوم على تنشئتها تنشئة صالحة ، حتى يكون شاكرا لتلك النعمة . ومما يُرغِّب الوالدين في تربية الأبناء تربية الخير والصلاح ، أن من عاش منهم بعد موت والديه

نفعهما بالدعاء ، مصداق قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ؛ صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له)[٣] ؛ ومن مات منهم صغيراً نفع والديه يوم القيامة بإدخالهما الجنة كما ورد في الحديث : عن أبي حسان ، قال : توفى ابنان لي ، فقلت لأبي هريرة سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً تُحدِّثناهُ تطيب أنفسَنا عن موتانا ! قال : نعم، (صغارهم دعاميص الجنة ، يلقى أحدهم أباه أو قال : أبويه ، فيأخذ بناحية ثوبه أو يده كما آخذ بصيفة ثوبك هذا ، فلا يفارقه حتى يدخله الله وأباه الجنة)[٤] .

فمِن أظهرِ المسؤوليات التي اهتم بها الإسلام وحضّ عليها ووجه الأنظار إليها .. مسؤولية المربين تجاه من لهم في أعناقهم حق التربية والتوجيه والتعليم .. فهي في الحقيقة مسؤولية كبيرة وشاقة وهامة في آن واحد .. تبدأ قبل ميلاد الطفل وتستمر بعد الميلاد متدرجة مع المولود في فترات الحضانة والتمييز والمراهقة إلى أن يصبح بالغاً مكلفاً .. ولا شك أن المربي سواء كان أباً أو أماً أو معلما أو مشرفا اجتماعيا .. حين يقوم بالمسؤولية كاملة ، ويؤدي الحقوق بكل أمانة وعزم ومضاء ، على الوجه الذي يطلبه الإسلام .. يكون قد بذل قصارى جهده في تنشئة العنصر الصالح أو اللبنة الصالحة في تكوين الأسرة الصالحة والمجتمع الصالح .

نعم شرع الإسلام مسؤولية الآباء عن الأبناء قبل الميلاد فقد ورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (تخيّروا لنطفِكُم فانكحوا الأكفَاء وأنكحوا إليهم)[٥] ، كما وردت الأحاديث التي تحث على اختيار الزوجين على أساس الدين والأخلاق ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، إلاّ تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفساد عريض)[٦] ، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تَرِبَت يداك) متفق عليه

كما أوجب الإسلام العناية بالجنين في رحم الأم ، فحرم الإيذاء أو إلحاق الضرر به بأي شكل من الأشكال ، فقد ورد من طريق عبيد الله عن نافع قال : (كانت بنت لابن عمر تحت رجلٍ من قريش ، وكانت حاملاً ، فأصابها عطش في رمضان ، فأمرها ابن عمر أن تفطر وتطعم عن كل يوم مسكينا)[٧] ، وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال : (والحامل والمرضع إذا خافتا على أولادهما أفطرتا وأطعمتا)[٨] ، كما حرم الإسلام الاجهاض ، إلا في حالات استثنائية فصل الفقهاء في بيانها ولا يسمح المجال هنا للخوض فيها .

وأمر بالاحتفاء بالطفل بعد ميلاده ، فحث على البشارة بالمولود ، وأمر بتسميته وحلق شعر رأسه والتصدق بوزنه فضة وبالعقيقة ..

كما اعترف بحقوقه بعد ولادته حيا ، فأوجب له حق الميراث وغير ذلك من الحقوق ..

وسوف يركز هذا الكتاب على تربية الطفل خلال فترة الحضانة من خلال الأبواب التالية :

الباب الأول : معنى التربية وعلاقتها بالتعليم

الباب الثاني : المسؤولية عن تربية الطفل وتعليمه في فترة الحضانة

الباب الثالث : الطبيعة المزدوجة للمولود ، ورعاية فطرته وملكاته

الباب الرابع : سلوك المربين وتعليم الأطفال والترفيه عنهم

وقد اشتمل كل باب منها على عدد من الفصول

والله اسأل أن ينفع به وأن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، واسأل الاخوة القراء دعوة بظهر الغيب ، والمعذرة عن الخطأ والتقصير ، وشكر الله لكم سلفا .

« ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنّك أنت الوهّاب » (آل عمران : ٨)

متولي موسى

ترويس دورف - ألمانيا الاتحادية

الجمعة ٢٦ ربيع الثاني ١٤١٠هـ (١٩٨٩/١١/٢٤م)

. . . . . .

---

(١) الشعراء : ١٣٢ و ١٣٣ .

(٢) الكهف : ٤٦

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه وغيره

(٤) رواه الإمام مسلم في صحيحه ؛ ودعاميص الجنة صغار أهلها ، والحديث يرشد إلى أن من مات له صغير فسيلقاه يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ويأخذ بيده إلى الجنة

(٥) ورد في سنن ابن ماجه برقم ١٩٦٨ وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني : حديث حسن

(٦) ورد في سنن ابن ماجه برقم ١٩٦٧ وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني : حديث حسن

(٧) أورده الامام الطبري في تفسيره وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في تخريج أحاديث منار السبيل في كتابه « إرواء الغليل » ، حديث رقم ٩١٢ إسناده صحيح

(٨) ورد في سنن أبي داود ، وقال الشيخ ناصر في الإرواء حديث ٩١٢ : حديث صحيح .

الباب الأول

معنى التربية وعلاقتها بالتعليم

إن الاهتمام بتربية الأطفال في الآونة الأخيرة ظاهرة بارزة ـ والحمد لله ـ وحتى نرتفع بهذا الاهتمام إلى مستوى الفاعلية والتأثير في الحياة الواقعية ، لا بد من استيفاء مستلزماته ، وسأحاول في هذا الباب أن أبين العلاقة بين التربية والتعليم من خلال الفصول التالية :

الفصل الأول : تحديد المصطلحات
الفصل الثاني : تطور العملية التربوية
الفصل الثالث : المؤثرات على تربية الطفل
الفصل الرابع : التعليم بوصفه وسيلة تربوية وصفة للأمة الإسلامية

الفصل الأول :

تحديد المصطلحات

باستقراء كثير من المجلات والكتب التي ترد فيها كتابات عن التربية والتعليم ، نجد أن كثيراً من الكتاب يخلطون بين مصطلح التربية ومصطلح التعليم ، ولما كانت المصطلحات جزءاً أساسياً من لغة العلم ، ظهرت الحاجة إلى تحديد المصطلحات[١]

١ ـ معنى التربية :

بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية نجد أن :[٢]

رَبَّاه : بمعنى غذّاه ونشّأه ونمّى قواه الجسدية والعقلية والخلقية .

وتَرَبَّى : بمعنى تنشّأ وتغذّى وتثقّف

وربَّ . . يرُبّ : بمعنى أصلحه ، وتولّى أمره ، وساسه ، وقام عليه ورعاه..

وقد أقر مجمع اللغة العربية في مصر التعريف التالي : «التربية : هي تبليغ الشيء إلى كماله ، أو هي كما يقول المحدثون : تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئاً فشيئا .

تقول : ربيت الولد ، إذا قويت ملكاته ، ونميت قدراته ، وهذبت سلوكه ، حتى يصبح صالحاً للحياة في بيئة معينة .

وتقول تربى الرجل ، إذا أحكمته التجارب ونشّأ نفسه بنفسه ، ومن شروط التربية الصحيحة أن تنمي شخصية الطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية، حتى يصبح قادراً على مؤالفة الطبيعة ، وتجاوز ذاته ، ويعمل على إسعاد نفسه وإسعاد الناس ، وتعد التربية ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى»[٣] ا . هـ .

وبالرجوع إلى كتب تفسير القرآن الكريم ، نجد أن أكثرها قد تعرضت لشرح

وبيان معنى التربية عند تفسير لفظة (الرب) ، وسأكتفي هنا باقتباس بعض ماورد في ثلاثة كتب منها :

أولها : قال العلامة القرطبي - رحمه الله - [٤]: «التربية : هي إصلاح شؤون الغير ورعاية أمره»

ثانيها : قال العلامة الألوسي - رحمه الله - :[٥] «التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله بحسب استعداده الأزلي شيئاً فشيئاً . . ؛ والتربيـة أجلّ النعم بالنسبة إلى المنعَم عليه ، وأدل على كمال فعله تعالى وقدرته وحكمته»

ثالثها : قال الشيخ الدوسري - رحمه الله -[٦] : «ربّ العالمين سيدهم المربي لهم الذي ربّاهم بنعمته :

(١) تربية خلقية يكون بها نموهم وكمال إحساسهم وقواهم النفسية والعقلية .

(٢) تربية هداية فطرية لكل نفس ما يلائمها من طلب نفع أو مكافحة ضرر .

(٣) تربية هداية شرعية لأهل الادراك منهم لما يسعدهم في دنياهم وأخراهم ، وذلك بما يوحيه إلى أفراد منهم بدينه القويم ، وتشريعه النافع .

(٤) تربية معيشة بتسخيره لهم كل دابة ومادة وتيسير أرزاقهم حسب تقديره الأزلي وإنعامه عليهم بالنعم التي لا يمكن البقاء بدونها .

● **خلاصة ونتائج :**

إن التربية الاسلامية حين يعبر عنها في صورة مناهج عملية لتطبيقها على النشيء ، لابد أن تصدر عن الإسلام الحق كما أنزله الله عز وجل ، أما أن يخلق الله عز وجل وتصدر المناهج عن غير شريعة الله تعالى ، فذلك ضلال وانحراف يترتب عليه عدم تحقيق التوازن في حياة الانسان . ولقد توصل الأستاذ عبد الرحمن الباني من خلال تحليل عناصر التربية إلى النتائج التالية[٧] :

(١) أن المربي الحق على الاطلاق هو الله تعالى ، لأنه هو الخالق ، خالق الفطرة وواهب المواهب ، وهو الذي سنّ سنناً لنموها وتدرجها وتفاعلها . . كما أنه شرع شرعاً لتحقيق كمالها وصلاحها وسعادتها ...

(٢) أن التربية لابد أن تستضيء بنور الشريعة الالٰهية ، وتسير وفق أحكامها
(٣) أن التربية عملية هادفة ... لها أغراضها وأهدافها وغايتها .
(٤) أن التربية تقتضي خططاً متدرجة يترتب بعضها على بعض وينبني بعضها على بعض فكل منها قائم على ماسبق ويعد لما بعده ، والأعمال التربوية والتعليمية تسير وفق ترتيب منظم صاعد ينتقل مع الناشئ من طور إلى إلى طور ومن مرحلة إلى مرحلة في كل شأن من الشؤون .
(٥) أن عمل المربي تالٍ وتابع لخلق الله وإيجاده ، كما أنه تابع لشرع الله ودينه وأحكامه».

● **والعملية التربوية** بهذا المعنى لها طرفان ووسائط :

أ ـ أما الطرفان فهما :

ـ الطرف الأول هو المُربِّي : وهو الذي يسهر على القيام بصناعة التربية وفق البرامج الموضوعة لتحقيق الأهداف المرجوة .

الطرف الثاني هو المُربّىٰ : وهو الناشئ الذي هو محل العملية التربوية بما لديه من استعدادات فطرية .

ب ـ وأما الوسائط : فهي الوسائل والمناهج التي تتبع في العملية التربوية ، والتي تستخدم وفق فنٍّ مرن متطور له أصوله وقواعده ، وتطبق بحكمة ودراية ودربة .

٢ ـ العلـم :

إدراك الشيء بحقيقته ، فبالعلم يتمكن الانسان من التيقن من حقائق الوجود؛ وقيل : العلم يقال لادراك الكلي والمركب ، والمعرفة تقال لادراك الجزئي أو البسيط . ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها وحدة واحدة ، كعلم الآثار ، وعلم الكونيات ، وعلم النحو ، وعلم الكلام ...

● **الاسلام يحض على العلم ويكرم العلماء**

يمكننا أن نتثبت من هذه الحقيقة إذا استعرضنا بعض النصوص التي وردت في القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة ؛ فقد قال تعالى : «**قل هل يستوي**

الذين يعلمون والذين لا يعلمون» (الزمر : ٩) وهذا السؤال يفرض على القارئ أو السامع أن تكون الاجابة بالنفي فهما لا يستويان . وعليه لا يعجب الإنسان إذا علم أن أول ما أنزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم هو قول الحق سبحانه : **«اقرأ باسم ربّك الّذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربّك الأكرم * الّذي علّم بالقلم * علّم الإنسان مالم يعلم»** (العلق : ١ ـ ٥)

وليس العلم المطلوب محصوراً في الدين وحده : (من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين) (متفق عليه) ، بل كل علم نافع يحتاج إليه الناس في دنياهم لصحة أبدانهم وتنمية اقتصادهم وعمرانهم : (خير الناس أنفعهم للناس) [٨] ؛ وتمكين المسلمين من التفوق على أعداء الله وأعدائهم : **«وأعدّوا لهم مااستطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم ..»** (الأنفال : ٦٠) ؛ ونحو ذلك مما يتبين به الحق : **«سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنّه الحقّ »** (فصلت : ٥٣) ؛ وذلك يتطلب الاعداد والاستعداد وبذل الجهد في سبيل تحصيله ، ومما يهوّن على طالب العلم مثل ذلك ما رغّب فيه الشارع حيث قال صلى الله عليه وسلم : (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة) جزء من حديث رواه مسلم وغيره

- **العلم بالتّعلم**

أخبرنا الصادق المصدوق ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : (إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، ومن يتحرّ الخير يعطه ، ومن يتوقّ الشر يوقه) [٩] ؛ والتعليم للأطفال يتناول تحصيل المعرفة أو زيادتها ، كما يتناول إتقاناً لمهارة من المهارات

- **والعملية التعليمية بهذا المعنى لها طرفان ووسائط :**

أ ـ أما الطرفان فهما :

ـ الطرف الأول هو الفاعل أو باذل العلم : وهو الذي يسمى المعلِّم أي هو الذي

يتخذ التعليم مهنة .

ـ الطرف الثاني هو المفعول لأجله : ويطلق عليه اسم معَلَّم أو طالب العلم .

ب ـ **وأما الوسائط** : فهي الوسائل التي تستخدم في العملية التعليمية ،

والجدير بالذكر أن العملية التعليمية الجيدة ، هي التي يكون لها هدف خيّرٌ سام ؛ فهي التي تزود الطفل أو الناشئ بالمعلومات أو الخبرات والمهارات .

والتعليم على هذا النحو يعمل على تنمية الناشئ بوصفه شخصية إنسانية متكاملة الجوانب المختلفة ، ويمكنه من معرفة القيم والمذاهب المختلفة .

وبمقارنة العملية التربوية بالعملية التعليمية يتبين أن العملية التعليمية أقل عمقاً وتأثيراً في الطفل ، لارتباطها بالمعلومات التي لها علاقة بالناحية العقلية في الناشئ واكتساب المهارات ؛ أما التربية فهي أكثر عمقاً وتأثيراً في كيان الطفل وشخصيته ونفسيته ، لأنها تشمل جميع جوانب الشخصية الإنسانية، فهي تتناول بالاضافة إلى السلوك والعاطفة ، إيقاظ المشاعر السامية والتدريب على حسن الخلق .

---

(١) راجع الفصل القيم الذي كتبه الأستاذ عبد الرحمن الباني بعنوان : الفرق بين التربية والتعليم في كتابه مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام ص ٢٤ - ٢٦

(٢) المعجم الوسيط ، ولسان العرب ؛ مادة : ربا ، يربو ، ربَّ يربُّ

(٣) المعجم الفلسفي ، للدكتور / جميل صليبا ، ج١ ص ٢٦٦

(٤) العلامة المحدث / محمد بن أحمد الانصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ج١ ص ٢٣

(٥) العلامة / الألوسي البغدادي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي ج١ ص ٧٧

(٦) الشيخ / عبد الرحمن بن محمد الدوسري ، صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم ، دار الأرقم ـ الكويت ، ج١ ص ٤١ ـ ٤٢

(٧) الأستاذ الباني ، مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام ، المكتب الإسلامي ص١٣

(٨) صحيح الجامع ـ حديث رقم ٣٢٨٤ ، رواه الدارقطني وغيره وقال الشيخ ناصر حديث حسن

(٩) حديث حسن ، راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر ، ج١ حديث رقم ٣٤٢ .

الفصل الثاني :

تطور العملية التربوية

العملية التربوية وُجدت مع الإنسان منذ علّم الله تعالى آدم الأسماء كلها ، وبعد نزوله إلى الأرض بما أودع الله فيه من الحواس وإمكانات التعلم والاستفادة من التجارب ، والآباء يربون الأبناء بما توفر لديهم من معلومات وتجارب .. بحيث تستفيد الأجيال اللاحقة من التجارب الإيجابية للأجيال السابقة ، مع استبعاد الخبرة والتجارب الضارة والسلبية ، ولنتأمل فيما أخبرنا الله تعالى به عن سيدنا نوح عليه السلام في قوله عز وجل : «**وقال نوحٌ ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً**»[1] وهو يبين السبب والمسوغ لذلك فيقول : «**إنّك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً**»[2] ، ولا شك أن المقصود هنا ليس أن أبناءهم يولدون على الكفر والفجور ، ـ فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على أن المواليد يولدون على الإسلام ـ ؛ وإنما المقصود ، أن هؤلاء الكفار ينشّئون أبناءهم على الكفر والفجور .

ولقد ذكر الله تعالى لنا في القرآن الكريم وصايا لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه في قوله : «**يابنيّ لا تشرك بالله إنّ الشرك لظلمٌ عظيم ..**» إلى قوله : «**واقصد في مشيك واغضض من صوتك إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير**»[3] وذلك لنستفيد منها ، ولا يمكننا أن ننكر هنا ما يقدمه العصر من تطور في الوسائل والأساليب ، فبعد أن كانت العملية التربوية والتعليمية في الماضي تتوقف إلى حد كبير على الوالدين والمؤدب والخطبة والدرس المحدود .. الخ أصبحت هناك المناهج الموحدة في المدارس والوسائل الفعالة ذات التأثير الكبير مثل وسائل الإعلام والنوادي .. الخ

١ ـ طبيعة العملية التربوية

نظراً لأن التربية تتناول الطفل ، ذلك الكائن الإنساني ، الذي خلقه الله وكرمه، وتهدف إلى غرضٍ سامٍ ، هو توجيه فطرة الطفل وجهة الخير والصلاح وتنمية طاقاته وقدراته ، لتصل به إلى حد الكمال المناسب له .

فيمكن النظر إليها على أنها عملية ذات قواعد وأصول ، تسير وفق منهج لتحقيق غاية ، فتأمل قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[٤] يتبين لك هذا الأصل الواضح ؛ أن الخير في الإنسان أصيل والشر عارض ؛ وكذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع)[٥] ففيه قواعد تتبع في عملية التربية والتوجيه ، ووفق منهج محدد في التعامل والسلوك .

وقد يُنظر إلى التربية على أنها مهنة ذات مهمة محددة ، مثل المرضعة التي تتولى رضاعة الطفل ، أو الحاضنة التي تتولى حضانة الطفل في سن الحضانة ، والتربية بهذا المعنى يطلق عليها صناعة ، حيث يُسعى عن طريقها إلى تحقيق هدف عملي يسد حاجة الإنسان الأساسية ، وإشباع ضرورة من الضرورات المتصلة بالطعام والشراب .. وما إلى ذلك .. ، وبهذا المعنى صنف ابن خلدون في مقدمته فصلاً بعنوان «التعليم للعلم من جملة الصنائع» اعتبر فيه التعليم صناعة أي مهنة ذات مهمة عملية ، ولها قواعدها وأصولها[٦] .

وكما يقول الأستاذ الباني : «لاضير على التربية ولا حرج علينا إذا نظرنا إلى التربية نظرة جمالية فنية ؛ ذلك أن قيمة كل امرئ ما يحسن ، فإذا وُفق المربون إلى الوصول بمن يربونه إلى أن يكون ذلك الإنسان الكامل الرضيّ الذي يحسن فن الحياة فيعيش سعيدا خيّراً فاضلا سامي الأهداف كامل الصفات ، فذلك هو أقصى مطامح الفن ، وأرقى درجات العمل الفني ..

.. صناعة التربية ليست جامدة على وضع واحد ، لأنها تعالج الإنسان ، والإنسان ليس كالكائنات الجامدة بل هو من الكائنات الحية في أرقى الدرجات؛

حاجاته متنوعة ، وجوانبه متعددة ، والفروق ظاهرة بين فرد وآخر ، وبين مجموعة وأخرى ..

لذلك كانت التربية مرنة لتواجه هذه الحالات المختلفة ، وهذه الحاجات المتعددة .. وهذه الفروق الواقعية ، وهذه المتغيرات أيضاً ..

وإذا كان لدينا كل يوم جديدٌ ، والحياة ليست على وتيرة واحدة ، فلابد أيضا أن تكون التربية ـ التي هي في جوهرها إعداد للحياة ـ متطورة ..

إلاّ أن هذا يجب ألاّ ينسينا الحقيقة الدائمة القابعة في أساس التربية الثاوية أيضاً في مضمونها الداخلي .. وهي أن للتربية ـ من وجه آخر ـ صفة الثبات والديمومة بل الخلود إن صح هذا التعبير . فهناك حقائق ثابتة وأهداف أساسية قواعد حاسمة حازمة لا معدى للتربية عنها ، ولا قيام لها إلا بها ، مثلا لا بد أن تكون أيها المربي قدوة لطلابك لأنك بالغ ما تريد من الأهداف عن طريق القدوة ...»[٧] .

٢ ـ مذاهب الناس في التربية

باستقراء الواقع المعاصر نجد أن الناس يذهبون في تربية أطفالهم مذاهب شتى ؛ فمنهم من يتبع أسلوب الضغط والشدة والكبت الذي يتولد عنه التمرد والانفجار ، وهناك من يستخدم الأسلوب المفرط في حرية الطفل بلا ضوابط مع تدليل الطفل ، فينشأ على التحلل والفساد والميوعة ، فتنماع خصال الخير وسط طوفان من الإثم والشر ، وفي كلا الحالتين تضيع إمكانات وتهدر طاقات كان من الممكن استغلالها وتوجيهها وجهة الخير والصلاح ، بما يعود على الإسلام والمسلمين بالفائدة .

ومنهم من يتبع أساليب موروثة من عهود التخلف والانحطاط ، لانصيب لها من العلم والفهم ، فيخبط خبط عشواء في تربية الطفل ، فيخلط عملاً صالحاً بآخر سيئا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والتربية الإسلامية لا تتحقق بكثرة الكلام فقط ، ولا باستخدام أسلوب الترغيب والترهيب وحده ، إنما تتحقق إذا وجد مع الكلام والترغيب القدوة

السلوكية ، التي تقوم على أساس فهم الإسلام كما أنزله الله عز وجل والعمل به . فالطفل ـ ولا سيما في الصغر ـ يقلد الكبار الذين يحيطون به ، وخصوصا أكثرهم التصاقاً به .. فإذا كان هؤلاء الكبار قدوة طيبة ، أثروا تأثير الخير والصلاح فيمن حولهم من الأطفال .

ولو أن الآباء تذكروا أن الأطفال بين أيديهم أمانة ، وهم مسؤولون عنها في الدنيا والآخرة ، لما ارتضى الواحد منهم لنفسه أن يقتصر في تأديبه لطفله على مجرد النصائح والوصايا ، يسوقها إليه في ترفع وتعالٍ

وقديما قال الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه !

وخلاصة الأمر : على المربين أن يدركوا أن الأجيال يختلف بعضها عن بعض ، بسبب التطور الذي يحدث في أساليب الحياة وشؤون الأحياء ، وأن الامكانات والوسائل التي يضعها العصر تحت أيدي الناس ، تتزايد وتتطور على الزمن ، وأن الخبرات والتجارب ، تتراكم بمرور الوقت ، فإذا انطلقنا من منطلق ، أن العملية التربوية هادفة ، وأنها «فن» مرن ، له أصوله وقواعده التي تطبق بحكمة ودراية ودربة؛ لا ينكر فيها شأن التطور ، كما لا ينكر شأن الثبات ، لأمكن الاستفادة من التجارب والخبرات المتراكمة والوسائل والامكانات التي يضعها العصر ، ما دام ذلك لا يتعارض مع ما جاء في كتاب الله عز وجل أو سنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

الحواشي :

(١) سورة نوح الآية ٢٦ (٢) سورة نوح الآية ٢٧

(٣) سورة لقمان الآيات من ١٢ إلى ١٩ (٤) رواه الإمام البخاري في صحيحه

(٥) رواه أبو داود وقال الشيخ ناصر اسناده حسن .

(٦) مقدمة ابن خلدون ، طبعة دار الشعب ، كتاب الشعب ، القاهرة ، ص ٣٩٦

(٧) مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام ، الاستاذ عبد الرحمن الباني ، المكتب الإسلامي ص ٢١ و ٢٢

الفصل الثالث :

المؤثرات على تربية الطفل

يقول الاستاذ محمد قطب : «ومن هنا يكون البيت والشارع والمدرسة والمجتمع هي ذات الأثر الحقيقي والحاسم في تنشئة الأطفال ، مع عدم إغفال العامل الوراثي على الإطلاق ، بل مع توكيد وجوده وتوكيد أهميته في الحياة البشرية .. وذلك على الصورة المبينة ـ وهي :

أن العامل الوراثي أصيل في النفس ، ومطلوب لذاته ، ولكن التربية والتوجيه عليهما أن يستخلصا خير ما فيه ، ويقوّما ما قد يكون فيه من انحراف أو غلوّ ..

وحين لا تكون هناك تربية ، أو حين تكون التربية والتوجيه فاسدين ، فإن انحرافات العامل الوراثي تتأكد بدلا من أن تُقوّم ، وتبرز بدلا من أن تسوّى .. فيخيل للناس حينئذ أن الوراثة هي الغالبة وهي الحاسمة في تكوين الشخصية .. وليس الأمر في حقيقته كذلك »[1] .

ويقول في موضع آخر مؤكداً : «البيت والشارع والمدرسة والمجتمع اذن هي ركائز التربية الأساسية ، وهي التي تعطي الحصيلة النهائية للعملية التربوية ، مع عدم إغفال الطابع الذاتي والوراثات الخاصة ، بل مع توكيد وجودهما وإبراز دورهما في الحياة البشرية .

ومن أجل تربية طفل واحد ـ كتربية جميع الأطفال على السواء ـ نحتاج أن يكون البيت والشارع والمدرسة والمجتمع في الصورة التي نرغب في تنشئة هذا الطفل عليها ، لأن تأثيرها على طفل واحد كتأثيرها على كل الأطفال مجتمعين ومتطلبات طفل واحد منها كمتطلبات كل الأطفال مجتمعين ..

ولا يحسبن أحدٌ أن هذه القولة تهويل بلاغي أو مبالغة لفظية .. كلا إنها حقيقة عملية مجردة لا انفعال فيها ولا تهويل ..

فما دمت لا تستطيع ـ ولا ينبغي لك ـ أن تحبس طفلك ـ وهو طفل واحد ـ عن النزول إلى الشارع للعب أو للسير والانتقال فيه ؛ ولا عن الذهاب إلى المدرسة ليتعلم ؛ ولا عن الاختلاط بالمجتمع ومفاهيمه وعادتاته وتقاليده وأنماط سلوكه .. ولا عن التأثيرات الناشئة من ذلك كله .. فلن تستطيع إذن أن تنشئ هذا الطفل ـ الواحد ـ كما تريد أنت ، مهما كنت في بيتك على أعلى درجات المثالية في سلوكك الشخصي أو في منهجك التربوي ..

صحيح أن البيت هو المؤثر الأول ، وهو أقوى هذه العوامل الأربعة جميعاً ؛ لأنه يتسلم الطفل من أول مراحله ، فيبذر فيه بذوره قبل أي شيء أو أي أحد آخر . ولأن الزمن الذي يقضيه الطفل فيه أكثر [في سنواته الأولى على الأقل] ولأن الأشخاص المحيطين بالطفل فيه هم ألصق الناس جميعاً به وأحبهم إليه [وخاصة أمه] ومن ثم فهم أكثر الناس تأثيراً فيه بالقدوة وبالتلقين على السواء ..

كل ذلك صحيح .. ولكن ذلك لا يعني أنه هو المنفرد بالتأثير ، ولا ينفي أثر الشارع والمدرسة والمجتمع في تكوين الطفل وعاداته»[٢] .

١ ـ تقسيم المؤثرات إلى مباشرة وغير مباشرة

يمكننا تقسيم المؤثرات التي تنبثق عن مبدأ معين فتؤثر على الطفل حتى يتخذ سلوكا معينا في أفكاره ومعتقده وأخلاقه وسائر جوانب حياته إلى :

أ ـ مؤثرات مباشرة ترجع في أصلها إلى البيت وروضة الأطفال والمدرسة ؛

ـ فالوالدان والأقارب يؤثرون في الأطفال تأثيرا قويا ، من خلال التوجيه المباشر والتربية بالقدوة ، وفي الغالب يسعى الآباء إلى تكوين شخصية الأبناء تكوينا مطابقاً لشخصياتهم هم ، فالولد سرُّ أبيه .

ـ والمربون والمعلمون في دور الحضانة والمدارس ـ في كل بلد من بلدان العالم ـ يربون الأطفال تربية ذات مبادئ وأهداف محددة ، رسمتها لهم الدولة ، واستوحتها من نظام حكمها ، وفلسفتها في الحياة .

ب ـ مؤثرات غير مباشرة ، تقوم بها جميع وسائل التأثير على الطفل في المجتمع الذي ينشأ فيه بمختلف صورها وتعدد أساليبها ووسائلها ، فالأطفال بحكم حياتهم في المجتمع ، ومخالطتهم للكبار في مجالات متعددة في الحياة الاجتماعية ، يتأثرون بما يرون ويسمعون ، ويسهم ذلك كله في توجيه سلوكهم واكتسابهم لأفكار ومبادئ معينة ، ويمكن تمثيل مجموع هذه المؤثرات بالرسم التوضيحي التالي :

ولا شك أن المؤثرات المباشرة هي ذات التأثير الفعال في تكوين شخصية الطفل وتوجيه سلوكه في فترة الحضانة ، حيث يلتقي البيت مع الروضة مع المدرسة ، في عملية إعداد الطفل جسميا وعقليا واجتماعيا .. الخ ، وذلك بطريقة مدروسة ومخططة في غالب الأحيان ، حيث أنه في رياض الأطفال والمدارس لا بد أن يكون العمل فيها وفق برامج ومناهج محددة .

أما المؤثرات غير المباشرة فهي في الغالب عفوية ، فيكون تأثيرها بسبب تعرض الطفل لها بالاستماع أو النظر أو القراءة ، ويتأثر الطفل بها ، تبعا لقوة المؤثر وفاعليته ، ومدى ما يحدثه من جذب وتقبل لديه

٢ ـ العلاقة بين المؤثرات ووجود جهة رقابة

بدهي أنه عند تعدد المؤثرات لا بد من وجود جهة محددة تقوم بالتوجيه والرقابة ، فضلا عن تنسيق العلاقة بين المؤثرات حتى لا تتضارب ، وكلما كانت درجة الثقة بين الطفل وهذه الجهة كبيرة ، كلما كانت أقدر على القيام بمهمتها ، والجهة المرشحة في هذه المرحلة من العمر هي أحد الوالدين أو هما معاً .

فالطفل ينشأ بصورة طبيعية على علاقة قوية مع أفراد الأسرة ، وعلى الأخص مع الأم ، ثم ينتقل إلى «الكُتَّاب» أو روضة الأطفال على أقصى حد عند سن الخامسة ، ثم ينتقل في السادسة غالباً إلى المدرسة الابتدائية .. وهنا لا يكفي أن يكون بناء الروضة أو المدرسة على أحدث طراز فقط ، أو أن يكون معدا ومفروشا بصورة منظمة لطيفة فقط ، كما لا يكفي بالإضافة إلى ذلك أن يكون الجهاز القيادي والإداري فاهمين لرسالة التربية والتعليم فقط ، وإنما لابد بالإضافة إلى كل ذلك من منهج يقوم على الإسلام الحق كما أنزله الله عز وجل ، ولابد من مربين ومدرسين يصدرون عن الإسلام ، حتى ينتقل الطفل من أسرة صالحة في البيت إلى بيئة صالحة في الروضة والمدرسة ، فالأسرة الصالحة للطفل كالتربة الخصبة للبذور .

وكما يقول الاستاذ محمد الاستانبولي : «من الواجب على مديرة روضة الأطفال أن تتقرب من الآباء والأمهات لتحادثهم في شؤون أبنائهم ، فيبدي كل منهم رأيه في إصلاح الطفل وطريقة تقدمه . أليس من الضروري إذا كان الطفل كذاباً مثلاً أن تذكر المديرة إلى أمه الصفة الخطيرة القبيحة التي يتصف بها ، وتتذاكر معها في أمر علاجه ؟ وهكذا في حالات الخبث والوسخ والجبن والخجل ، وفي الأحوال المرضية التي تتطلب من المديرة نصح الأمهات فيما يتعلق بقواعد الصحة وتدعوهن أحيانا لمراجعة الطبيب .

وإذا كانت علاقة الأسرة بالمدرسة الابتدائية هامة فهي في روضة الأطفال كذلك ، لأن الأطفال لم يزالوا بعد بحاجة إلى رعاية بسبب صغر سنهم ، ومن حسن الحظ أن هذه العلاقة سهلة مع أهل الصغار الذين يحضرون غالباً مع أبنائهم إلى الروضة صباحاً ، وينتظرونهم مساء ليأخذوهم معهم إلى البيت»[٣] .

وأود هنا أن ألفت النظر إلى أن وسائل الاتصال والتشاور وفرص الالتقاء متعددة ، فلا بد من تنظيم مثل هذه اللقاءات ، وكذلك الحال مع إدارة المدرسة الابتدائية ، بل مع مدرسي المواد الدراسية الذين يقومون بالتدريس للطفل ، مع مناقشة الطفل بالطريقة المناسبة لسماع وجهة نظره ومناقشته في القضايا التي تهمه ، والتي تحتاج من الوالدين إلى سماع وجهة نظره مع إعطائه الفرصة للدفاع عن نفسه ، وبيان الأسباب التي جعلته يتخذ موقفاً معينا ، حتى يكون التوجيه سديدا بإذن الله تعالى .

---

(١) الاستاذ محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ـ الجزء الثاني ـ دار الشرق بيروت الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨١ م / ١٤٠١ هـ ، ص ٩٠ و ٩١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٢ و ٩٣

(٣) الاستاذ محمود مهدى الاستانبولي ، رياض الأطفال وطريقة إعدادها وتنظيمها ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥ م ، ص٥٥

الفصل الرابع :

التعليم بوصفه وسيلة تربوية وصفة الأمة الإسلامية

لقد اهتم علماؤنا في الماضي والحاضر ببيان العلاقة بين التعليم والتربية، ويكفي أن نراجع الباب السادس من مقدمة ابن خلدون لتتجلى لنا هذه العلاقة ، وسوف أحاول في هذا الفصل لفت النظر إلى هذه العلاقة مع التعريج على بيان صفة الأمة الإسلامية في هذا المجال :

١ ـ التعليم وسيلة من أهم وسائل التربية

التعليم والتربية عمليتان متكاملتان ، ليس بينهما تعارض ولا انفصال ، فمعلم الحساب مثلا ، الذي يعلم الطفل العدَّ والجمع والطرح ، إن كان معلماً ناجحاً هادفاً ، يمكنه من خلال ذلك التعليم أن يربيَّ في الطفل قدرته التفكيرية، والترتيب في أفكاره ... أي يعلم الطفل الحساب وفي نفس الوقت يربيه تربية فكرية .. كما يمكنه (أي المعلم) أن يبث في الطفل أحكام الشرع ، إذا أعطاه مسألة مالية عن ربا البنوك الذي حرمه الله ... الخ .

وكما يقول الأستاذ الباني : «إن كلَّ عمل تعليمي جيد ، لا بد أن يكون له هدف تربوي .. أي أن التعليم المثالي إنما هو تربية ، وإن كان في الاصطلاح مرتبطاً بموضوع محدد بخلاف التربية التي تنطلق من شمول التأثير على شخصية الطفل .

فالمعلم الجيد يربي الأطفال تربية أخلاقية وصحية واجتماعية خلال تعليمه للمادة التي يدرسها للأطفال .

وينبغي أن نذكر أن لموضوع الفرق أو العلاقة بين التربية والتعليم والحقائق الواردة فيه ، تطبيقات كثيرة في إعداد المناهج ، وتأليف الكتب ، وممارسة العمل مع الناشئين في البيت والمدرسة والمجتمع ، وكل مراحل التعليم وأنواعه..»[1] .

ويُذكِّر بقول الشاعر :

« أعلمه الرماية كلّ يوم فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

فتدريبه على الرماية ، وبتعبير آخر تَكَوُّن «مهارة الرمي» لديه نوع من التعليم ، ولكن اتجاه الشخصية نحو الإساءة لمن أحسن ، نوع سيء من السلوك وانتكاس من الناحية التربوية ، ومثل ذلك يقال في تعلم الشعر .. وفي استخدام الشعر في هجاء من كان سبباً في تحصيل ملكة النظم أو القدرة على نظم الشعر[2]»

ولذلك حرص الصالحون على تعليم الصغار من أبناء المسلمين والتذكير بضرورة طلب العلم للناشئة ، وأذكر هنا بما قاله ابن الجوزي لابنه في كتابه «لفتة الكبد في نصيحة الولد» : «تعلَّم بالدليل أنك مخلوق مكلف ، وأن عليك فرائض أنت مطالب بها ، وأن الملكين يحصيان ألفاظك ونظراتك ، وأن أنفاس الحي خطاه إلى أجله ، ومقدار اللبث في الدنيا قليل ، والحبس في القبور طويل ، والعذاب على موافقة الهوى وبيل .

فأين لذة أمس ؟ رحلت وأبقت ندماً

وأين شهوة النفس ؟ كم نكست رأساً وأزلّت قدماً ، وما سعد من سعد إلا بخلاف هواه ، وما شقى من شقى إلا بإيثار دنياه[3]»

ويقول صاحب المنار في شأن العلم وما يترتب عليه : «وأما في هذا العصر فليس العلم إلاّ ما أثبته العمل أو بني عليه عمل ، فمالم يحتف به العمل من قطريه ، لا يعول عليه ، فعليك بالعلم والعمل ، رُضْ بهما نفسك ، وربِّ عليهما ولدك[4]» .

٢ - الأمة الإسلامية أمة متعلمة ومعلمة

إن الأمة الإسلامية أمة خاصة ، فهي أمة مبدؤها الإسلام ، وغايتها مرضاة الله عز وجل ، والعملية التعليمية فيها تصدر عن هذا المبدأ ولتحقيق تلك الغاية .

والتعليم ـ كما ينوه الأستاذ الندوي : «هو أداة الأجيال التي تؤمن بالإسلام وتحمل رسالته ، وكل تعليم لا يؤدي هذا الواجب أو يغدر بذمته ويخون في أمانته ، ليس هو التعليم الإسلامي ، بل هو التعليم الأجنبي ، وليس هو البناء والتعمير ، بل هو الهدم والتخريب ، وأولى بالبلاد الإسلامية أن تتجرد منه ، وتحرم من ثماره المادية ، فالأمية خير لها من التعليم الذي يرزؤها في طبيعتها وعقيدتها[٥]» .

وقد ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحث على تعلم الخير وتعليمه وبيان فضل من عمل ذلك ، أذكّر هنا ببعضها :

ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «الدنيا ملعُونةٌ ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله وما والاهُ ، أو عالما أو متعلماً»[٦]

ـ عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه ، كان له كأجر حاجٍ ، تاماً حجَّتُهُ» [٧]

ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من جاء مسجدي هذا ، لم يأته إلا لخير يتعلمهُ ، أو يعلِّمهُ فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ، ومن جاء لغير ذلك ، فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره» [٨]

ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «سيأتيكم أقوام يطلبون العلم ، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم : مرحباً مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وافتوهم»[٩] .

كما جاء في القرآن الكريم ما يبين أن التعليم هو عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالتالي هو عمل كل مقتدٍ به صلوات الله وسلامه عليه ، فقد قال الله عز وجل : « **كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكّيكم**

ويعلّمكم الكتاب والحكمة ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون » (البقرة : ١٥١)

وقال تباركت أسماؤه : **« هو الذي بعث في الأُمِيّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين»** (الجمعة : ٢)

وأرشدتنا سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه كان يبعث المعلمين من أصحابه يعلمون الناس الخير ، وكان لا يبعث المعلم والاثنين فقط وإنما كان يبعث العشرة والعشرين والأكثر من ذلك ، فكما ورد في واقعة بئر معونة ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المنذر بن عمرو سبعين رجلاً من خيار المسلمين ـ كانوا يسمَّون القرّاء ـ إلى أهل نجد ، يدعونهم إلى الإسلام وقد غدر بهم عامر بن الطفيل وقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم[١٠] أي في يوم واحد قتل سبعون معلما رضي الله عنهم .

فعلينا أن نقتفي أثر سلفنا الصالح رضوان الله عليهم لنقوم بواجب التعليم ، وأول من له حق علينا هم الأبناء ، عدة المستقبل ـ إن شاء الله تعالى ـ نقوم بتعليمهم وتهيئة الفرصة لهم للمحافظة على طلب العلم النافع وتعليمه في المستقبل .

وأختم هذا الفصل بتذكير نفسي وإياك أخي القارئ بكلمة طيبة للإمام ابن القيم رحمه الله قال فيها : «من أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى ، فقد أساء إليه غاية الإساءة ؛ وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء ، وإهمالهم لهم ، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوهم صغاراً ، فلم ينتفعوا بأنفسهم ، ولم ينفعوا آباءهم كباراً ، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق ، فقال : يا أبت إنك عققتني صغيراً ، فعققتك كبيرا ، وأضعتني ولداً فأضعتك شيخاً[١١]»

والله أسأل أن يجعلنا من الذين ينتفعون بما يعلمون .

.....

(١) الأستاذ عبد الرحمن الباني ، مدخل إلى التربية الإسلامية ، ص ٢٦
(٢) الأستاذ الباني ، المرجع السابق ، ص ٢٦ بشيء من التصرف
(٣) لفتة الكبد في نصيحة الولد ، للإمام ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، ص ٢٥
(٤) مجلة المنار ـ لمؤسسها الشيخ محمد رشيد رضا ـ ج١ ص ٢٢٧
(٥) الأستاذ أبو الحسن الندوي ، نحو التربية الإسلامية الحرة .. مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٤٠٢ هـ ، ص ٩ - ١٠
(٦) صحيح ابن ماجه للشيخ ناصر الدين الالباني حديث رقم ٣٢٢٠
والمراد بالدنيا : كل ما يشغل عن الله تعالى ويبعد عنه ؛ وطاعة الله تعالى واتباع أمره واجتناب نهيه كلها داخلة فيما يوافق ذكر الله ، والحديث يدل على أن المسلم يبعد نظره عن كل مالا يحبه الله تعالى ، كما يبرز أهمية طلب العلم والقيام بالتعليم .
(٧) صحيح الترغيب والترهيب ، اختصار وتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، حديث رقم ٨٢ ودرجته صحيح
(٨) صحيح الجامع الصغير وزيادته ، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الاسلامي ج ٦٠٥ حديث رقم ٦٠٦٠ ودرجته صحيح
(٩) المرجع السابق ج ٣ ، ٤ ، حديث رقم ٣٥٤٥ و مرحباً : صادفت رحباً ، أو لقيت رحباً وسعة، وقيل رحَّب الله بك ترحيباً . وافتوهم : علموهم
(١٠) راجع كتاب ، من معين السيرة للأستاذ صالح الشامي ، المكتب الإسلامي ص ٢٦٠ .
(١١) تحفة الودود بأحكام المولود للعلامة ابن القيم ، تحقيق د . عبد الغفار سليمان البنداري ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ص ١٩٩ - ٢٠٠

الباب الثاني

المسؤولية عن تربية الطفل وتعليمه في فترة الحضانة

إن الطفل حين يولد يمتاز بالعجز عن أي تصرف تلقائي .. ولذا كانت تربية الطفل البشري أصعب أنواع التربية ، فالطفل يولد لا حول له ولا قوة إلا بالله تعالى الذي مكنه من البكاء ، ومن حركة البحث عن ثدي الأم وامتصاصه بعد التقامه .. وزوده في نفس الوقت بعدد من الأجهزة والحواس ، التي إذا أحسن تمرينها وتربيتها فإنه يتزود مع مرور الزمن بكل ما يحتاج إليه من الخبرات والقدرات : «**واللهُ أخرجكُم من بطونِ أمهاتِكُم لا تعلمونَ شيئاً وجَعلَ لكم السَّمعَ والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون**» (النحل : ٧٨)

وسأحاول في هذا الباب معالجة المسؤولية عن تربية الطفل وتعليمه في فترة الحضانة من خلال الفصلين التاليين :

الفصل الأول : تحديد معنى المسؤولية ومن المسؤول ؟

الفصل الثاني : تحديد معنى الحضانة ومن أحق بها ؟

الفصل الأول :

تحديد المسؤولية ومن المسؤول ؟

استبان لنا في الباب الأول ـ الفصل الأول ـ أن عمل المربي تالٍ وتابعٌ لخلق الله وإيجاده ، كما أنه تابع لشرع الله ودينه وأحكامه ؛ وأن التربية تتولى أمر الناشئ، فترعى فطرته ، وتنمي ملكاته ومواهبه وقدراته واستعداداته ، وتوجه ذلك كله وجهة الصلاح والخير والكمال ، بحيث تتم العملية التربوية على مراحل متدرجة موافقة لأطوار نمو الطفل ، وتستمر معه حتى يصل إلى سن البلوغ .

وهنا تجدر الإشارة إلى بعض جوانب مسؤولية المربين ، خاصة عن الطفل قبل ميلاده وبعد الميلاد خلال فترة الحضانة .

١ ـ معنى المسؤولية :

ترجع الكلمة في أصلها إلى مادة «سأل»

يقال : سأل فلانا الشيء ؛ بمعنى استعطاه إياه أو طلبه منه

ويقال : سأله عن كذا وبكذا ؛ بمعنى استخبره عنه ، وقد ورد في التنزيل قول الله تعالى : **«فاسأل به خبيراً»** (الفرقان : ٥٩) وقوله عز وجل : **«يا أيُّها الذين آمنُوا لا تَسألوا عن أشياءَ إن تُبد لكم تَسُؤكُم»** (المائدة:١٠١)

والمسؤول : هو المنوط به عمل تقع عليه تبعته

والمسؤولية : بوجه عام معناها : حالُ أو صفةُ من يسأل عن أمر تقع عليه تبعته

وتطلق أخلاقياً على : التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملا

وتطلق قانونياً على : الالتزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقاً لقانون.

وإيمان المسلم بمسؤوليته بين يدي الله عز وجل عن عمله ، وعما كلّفه الله القيام به من أعمال ، جزء من عقيدته لا يقبل الجدال ؛ قال رسول الله ـ صلى الله

عليه وسلم ـ : «لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن عمله ماذا عمل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه[1]».

وقال الله تعالى : « **فوربّك لنسألنّهم أجمعين * عمّا كانوا يعملون** » (الحجر:٩٢-٩٣) وقال الله تعالى : « **فَلَنسْأَلَنَّ الذين أُرسِلَ إليهم ولنسألنّ المُرسَلِين**» (الأعراف : ٦) وقال الله تعالى : «**إنَّ السَّمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُّ أُولئِكَ كانَ عنهُ مَسؤُلا** » (الإسراء:٣٦)

كما يعتقد المسلم أنه مسئول أمام الله عز وجل عما استرعاه عليه ، وأناط به أمره ؛ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ألا كلّكم راع ، وكلّكم مسؤول عن رعيّته»[2]

والله تعالى يقول : «**وإنّه لذكرٌ لك ولقومِكَ وسوفَ تُسألون**» (الزخرف : ٤٤) ، ويقول عز وجل : «**وقفوهُم إنّهم مسؤولون**» (الصافات : ٢٤) فالله أسأل أن ينتبه المربون إلى مسؤوليتهم تجاه الأطفال قبل ميلادهم وبعد الميلاد .

٢ ـ الحث على الانجاب ومسؤولية حفظ الأنساب

أمر الإسلام بحفظ الفروج ، فحرم الزنا فقال عز وجل : «**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ..**» (النور : ٣٠ و ٣١) ؛ وبالزواج يعرف الولد من أبوه ، ويعرف الوالد من أبناؤه ، قال تعالى : «**والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة**» (النحل : ٧٢) .

ولا يجوز للمرأة أن تسقي زرع زوجها بماء غيره ، وعليه فكل من تلدهم من الأولاد في فراش الزوجية هم أبناء لزوجها ، كما ورد في الحديث الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الولد للفراش[3]» .

ولا يجوز للأب أن ينكر نسب ابنه إلا باللعان ، وحرم الإسلام التبني وهو نسبة الأولاد إلى غير أبيهم ، قال تعالى : «**وما جعل أدعياءكُم أبناءكم**» (الأحزاب : ٤) ،

أي لا يصير الدعيّ ابنا حقيقياً ، «والدّعيّ» هو : شخص معلوم النسب ادعاه غير أبيه أو انتسب هو إلى غير أبيه ، وهذا هو المعروف «بالتبني» ، والشائع في هذا الزمان ، أن يكون الولد مجهول النسب ، فيقوم الزوجان بتسجيله على اسميهما ، ويتخذه الرجل ولداً ، وهذا باطل ، حرمه الله تعالى بنزول الآية المشار إليها ، فلا يحل أن ينسب إنسان إلى غير أبيه وأمه .

ولقد حث الإسلام على الإنجاب فقال تعالى : **«ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة»** (الروم : ٢١)

وقال صلى الله عليه وسلم : «تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم»[٤] ، وقال أيضاً : «تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ، ولا تكونوا كرهبانية النصارىٰ»[٥].

ومن ذلك يتبين أن الإنجاب في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فضلاً عن أنه يحافظ على بقاء النوع ، فله صفة خاصة بسبب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، تتمثل هذه الصفة في الشهادة على الناس لقوله تعالى : **«وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء على النّاس ويكون الرّسول عليكم شهيداً»** (البقرة:١٤٢)

وقد وردت النصوص التي تبين أن الذرية الصالحة من أهم الآثار التي يتركها الإنسان بعد موته ، قال تعالى : **«إنّا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدّموا وآثارهم وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين»** (يس : ١٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن العبد لترفع درجته في الجنة فيقول : أنّى هذا ؟ فيقال : باستغفار وَلَدك لَك»[٦]

كما ورد في صحيح مسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة أشياء ، إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» .

بل لقد أمر الله تعالى بالدعاء للوالدين فضلاً عن الإحسان إليهما فقال عز وجل : **«واخفض لهما جناح الذُّلّ من الرّحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربّياني**

صغيراً» (الإسراء : ٢٤) ، فأمر الولد بأن يكفل والديه ويضمهما إليه كما فعلا ذلك به حال صغره .

ولقد لفت الله تعالى من تأهل للزواج من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى هذا الدعاء : «**ربّنا هب لنا من أزواجنا وذرّيّاتنا قرّة أعين واجعلنا للمتّقين إماما**» (الفرقان : ٧٤)

ويغلب في الناس حبهم للذرية ، والذكور بصفة خاصة ، وحتى لا يقع الحسد والبغضاء بين الناس من ناحية ، وتفضيل الذكور على الإناث ، من ناحية أخرى ، أخبر الله تعالى أنه هو الذي يهب النسل والذرية ، يهب لمن يشاء الإناث ، ويهب لمن يشاء الذكور ، ويهب لمن يشاء الذكور والإناث ويجعل من يشاء عقيماً ، كل ذلك لحكمة يعلمها سبحانه ، فيجب على العبد أن يتقبل بالرضى والاطمئنان، فقال عز وجل : «**يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوّجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيما**» (الشورى : ٤٩ - ٥٠)

وعليه ينبغي أن تكون فرحة الوالدين بالأنثى مثل فرحتهما بالذكر ، ولا يصنعان صنيع الجاهلية الذي ذمه الله ولفتنا إليه في قوله سبحانه : «**وإذا بشّر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشّر به أيُمسكه على هون أم يدسّه في التراب ألا ساء ما يحكمون**» (النحل : ٥٨ - ٥٩) ، ففي الآيتين بيان لحال الجاهلية قبل الإسلام عندما يولد لأحدهم أنثى ، فأنكر الله تعالى عليهم ذلك ، فالذكر والأنثى هبة من الله تعالى ، ونعمة منه ، يجب أن تستقبل بالبشر والشكر .

ولقد جاء في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبين فضل تربية البنات، أنقل هنا منها ما ورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من ابتلي ـ أي اختبر ـ من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كنّ له ستراً من النار»

وعن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

«من كان له ثلاث بنات ، فصبر عليهن وأطعمهن ، وسقاهن وكساهن من جدّته ، كن له حجاباً من النار يوم القيامة)[٧].

وفي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من عال جاريتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو ، وضم أصابعه».

ومن ذلك يتبين أن استمرار بقاء النوع البشري لا يكون إلا بوجود الذكر والأنثى ، فكيف نقبل الذكر ونفرح به ، ونرفض الأنثى ونحزن عند ولادتها وهي البنت والأخت والأم وسائر الأرحام؟

٣ ـ بيان مسؤولية المربين :

وردت النصوص المجملة والمفصلة التي تبين مسؤولية الوالدين وغيرهم من المربين عن تربية الأبناء بعد الميلاد ، يقول تعالى : **«يأيّها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها النّاس والحجارة»** (التحريم : ٦) ، ويقول عز وجل : **«وأمر أهلك بالصّلاة واصطبر عليها»** (طه : ١٣٢) ، ويقول تبارك أسماؤه : **«ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإيّاكم»** (الإسراء : ٣١) .

وعن عبد الله بن عمر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، الإمام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته ...»[٨] والراعي : هو الحافظ المؤتمن ، الملتزم صلاح ما قام عليه ، وهو ما تحت نظره ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يأمر كل راع بالنصيحة فيما يليه ، ويحذر الرعاة أن يخونوا فيما وكّل إليهم أو يضيّعوا ، وأخبرهم أنهم مسؤولون عنه ومؤاخذون عليه .

الأب والأم كلاهما مسؤول فيما هو مهيأ فطرياً للقيام به .. ، يتعاونان في تربية الطفل ، وكل منهما يكمل الآخر ، فالأم تعمل في مجالاتها التي تتفق مع فطرتها وأنوثتها ، والرجل كذلك يعمل في مجالات اختصاصه وما فطر له بالسعي لكسب المعاش ، والقيام بالأعمال الشاقة التي لا تقوى عليها المرأة .. ، يتعاونان

في سبيل توفير البيئة الصالحة لتنشئة الأطفال تنشئة حسنة ، فيعملان على توفير جو الاستقرار في البيت ، ورعاية الطفل بالحب والحنان ، فلا شيء يفسد التربية ويؤثر على النشئ ، من أن ينشأ الطفل في ظروف من القلق والاضطراب ، وبيئة مشحونة بالبغضاء والشقاق والتوتر .

ولقد حدد الإسلام مسؤوليات معينة في مراحل محددة من حياة الطفل ، فبين في خطوط عريضة ما ينبغي أن يصنع في فترة الرضاعة وحتى نهاية سن الحضانة ، ثم بين السابعة والعاشرة ، وكذلك بعد العاشرة وحتى سن البلوغ ـ والله أسأل أن نتعرض لهذه المراحل بالتفصيل في المستقبل ، إن شاء الله تعالى ..

٤ ـ المسؤولية عن تربية اليتيم :

ذكر القرطبي : أن اليتيم في البشر من مات أبوه ولم يبلغ سنّ الرشد ، ونقل قول البعض : أن اليتيم هو الذي يموت أبواه .

وأثبتت التجارب : أن الطفل الذي تتناوب تربيته عدة حاضنات تختل شخصيته ، ولا تنمو فيه مشاعر الحب والتعاون .

ولا شك أن الطفل الذي يموت أبوه يحتاج إلى من يرعاه ويمنحه الحب الذي هو حق لكل طفل ، ويحتاج إلى من يحافظ على فطرته ، ويدله على الصراط المستقيم ، وكذلك لا يمكن أن تقوم به الأم وحدها إذا لم تتزوج فكيف إذا تزوجت ؟

لقد كان اليتيم يجد في البيئة الجاهلية الجاحدة المتكالبة على الدنيا ، الخسف والظلم ، ولو كان ذا قربى ، وقد حفل القرآن الكريم والسنة المطهرة بالنصوص التي توصي باليتيم خيراً ، وظلت هذه النصوص تتنزل في العهد المدني كما تنزلت في العهد المكي ، تأمر بإصلاح حال اليتامى في أموالهم وسائر أحوالهم؛ فتدبر قول الله تعالى : «**ويسألونك عن اليتامىٰ قُل إصلاحٌ لهم خيرٌ وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم**

إنّ الله عزيزٌ حكيم» (البقرة : ٢٢٠) . والإصلاح المطلوب في الآية هو جميع الإصلاح في ذواتهم بالتعليم الصحيح والآداب الإسلامية ، ومعرفة أحوال العالم ، ويتضمن إصلاح أمزجتهم بالمحافظة عليهم من المهلكات ، والأخطار ، والأمراض ، وبمداواتهم ودفع الأضرار عنهم بكفاية مُؤنهم من الطعام واللباس والمسكن بحسب معتاد أمثالهم ، دون تقتير أو إسراف ، ويشمل إصلاح أموالهم بتنميتها وتعهدها وحفظها .. فالمعنى إصلاحهم في دينهم ودنياهم وترك إضاعتهم في الدين والدنيا ..

ومن ذلك يتبين أن مسؤولية تربية اليتيم من فروض الكفاية على الجماعة ، فينبغي أن يتوفر من يقوم بها ، وإلا تكون الجماعة كلها آثمة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كفالة اليتيم بأن يضمه إليه رجل أو أسرة ، لتربيته ابتغاء وجه الله تعالى ، وليس بنية «التبني» المحرّم ـ كما سبقت الإشارة ـ فهذا أمر طيب يستحق صاحبه عليه المثوبة ، فقد ورد في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ـ أشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما ـ» . ويقول القرطبي ـ رحمه الله ـ : (كما أن الصدقة على اليتيم الذي لا كافل له أفضل من الصدقة على اليتيم الذي يجد من يكفله) .

ولقد حث الشارع على ملاطفة اليتيم فقال صلى الله عليه وسلم : «أدنِ منك وألطِفهُ ، وامسحْ برأسه ، وأطعمه من طعامك ، فإن ذلك يلين قلبك ، ويدرك حاجتك»[٩] . وأمرنا الله تعالى أن لا نغلبه على ماله فقال عز وجل : **«فأمّا اليتيم فلا تقهر»** (الضحى : ٩) بل لقد جعل الله تعالى دفع اليتيم دفعاً عنيفاً دليلاً على التكذيب بالدين فقال عز وجل **«أرأيت الذي يكذِّب بالدين * فذلك الذي يدعّ اليتيم»** (الماعون : ١ و ٢) .

فهل في ذلك ما يدفع المسلمين على اللطف واللين في معاملة اليتيم ؟

. . . . . .

(١) أخرجه الدارمي ، والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح ، وقال الشيخ ناصر في تخريجه : إسناده صحيح .
(٢) جزء من حديث متفق عليه .
(٣) حديث متفق عليه .
(٤) صحيح الجامع رقم ٢٩٣٧ ، وقال الشيخ ناصر حديث صحيح .
(٥) صحيح الجامع رقم ٢٩٣٨ ، وقال الشيخ ناصر حديث صحيح
(٦) رواه أحمد وابن ماجة وغيرهما ، وخرجه الشيخ ناصر في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٥٩٨ وقال درجته حسن .
(١) رواه ابن ماجة وغيره ، وقال الشيخ ناصر في صحيح ابن ماجة ، حديث صحيح ؛ (ومن جدته) أي من غناه
(٨) حديث متفق عليه واللفظ للبخاري
(٩) حديث حسن خرجه الشيخ ناصر في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٨٥٢ .

الفصل الثاني :

تحديد معنى الحضانة ومن أحقّ بها ؟

استبان لنا في الباب الأول أن تربية الطفل تبدأ برعاية فطرته وتنمية مواهبه وملكاته ، وتوجيهها وجهة الخير والصلاح والكمال الانساني ، وتسير العملية التربوية متدرجة وفق مراحل معينة تناسب عمر الطفل .

وهنا ينبغي أن نفرق في التربية ـ بين الجانب النظري والذي يشمل السنن والقواعد النظرية ، وبين الجانب العملي ، والذي يعبَّر عنه في العربية بالصناعة والفن ـ والتي تبدأ مع الطفل من مولده ، وتستمر معه في أطوار الحياة المختلفة ، عناية ورعاية ومعالجة حتى يصل إلى طور الرشد متميزا بشخصيته الإسلامية ...

ولقد توصل الأستاذ الباني إلى : «أن التربية من حيث هي عملية هادفة ، إنما هي فن مرن متطور ، له أصوله وقواعده التي تطبق بحكمة ودراية ودربه ، فلا ينكر شأن التطور فيها ، كما لا ينكر شأن الثبات والديمومة»[1] .

وسوف نتناول في هذا الفصل بعض الجوانب الهامة في العملية التربوية في فترة الحضانة .

١ ـ الحضانة لغة وشرعاً

لغة[2] : تقول : احتضن الشيء ، حضنه ، ويقال : احتضن الأمر : تولى رعايته والدفاع عنه .

فالحضانة هي : الولاية على الطفل لتربيته وتدبير شؤونه . فهي لحفظه غالباً مما يضره ، والقيام بمصالحه : كغسل الثياب وتنظيف الطفل ودهنه ، وربطه في المهد وتحريكه حتى ينام ونحو ذلك مما يصلحه .

والحاضنة هي : التي تقوم على تربية الصغير ، وقد تكون الأم ، أو من يقوم مقامها في تربية الصغير .

ودُور الحضانة : مدارس ينشأ فيها الأطفال

وفي الشرع : الحضانة هي حفظ من لا يستقل بأمره ، وتربيته ووقايته مما يهلكه أو يضره[٣] . وفي هذه المرحلة التي تبدأ بولادة الطفل ، ينبغي أن نعلم أن كل مولود يولد على الفطرة . ثم يتعلم ويتربى عن طريق حواسه وبيئته التي تحيط به ، وتستمر فترة الحضانة من الولادة وحتى سن السابعة .

٢ ـ التأثير المتبادل بين الطفل والحاضنة :

تبدأ هذه العلاقة بين الطفل ومن يقوم على رعايته في وقت مبكر ، من جانب الأم ، أو من يقوم مقامها في الولاية ، وذلك بسبب حالة الضعف التي يولد عليها الطفل ، ثم تأتي في مرحلة متأخرة حركات الطفل من نظرة أو ابتسامة ، أو إمالة .. الخ ، فتكون هي الأخرى عامل تأثير على الحاضن أو المربي .

أ ـ تأثير الطفل على الحاضنة

من خلال الخبرة ظهر أن الطفل له قدرة تأثيرية على والديه ـ على سبيل المثال ـ في استبقائهما أو بقاء أحدهما معه ، يلاعبه ، وذلك من خلال إطالة النظر إليهما أو إلى أحدهما ، أو الابتسام لهما ، فينمو لدى الحاضن شعور قوي بالتعلق بالطفل ، بل كما يقول «كان» : (أثبتت الدراسات أن صور المواليد الذين تحتضنهم أمهاتهم تثير في الكبير دافع حماية الصغير ورعايته ، وهي استجابة أولية لا علاقة لها بالعادات الاجتماعية .

وقد يمتد تأثير الطفل على الوالدين في النظر إلى المستقبل ، فكم من امرأة كانت لا تحب الأطفال ، ولا ترغب في الحمل والإنجاب تغير رأيها ، من خلال سلوك طفل صغير وتأثيره عليها ، وكم من والد لم يكن متقبلاً لطفله ، تغير موقفه تجاه الأطفال ، من خلال تأثير الطفل الصغير عليه ، من مثل اشتياق الطفل لعودة والده ، وارتمائه في حضنه لدى وصوله من الخارج)[٤].

ب ـ تأثير الحاضنة أو المربي على الطفل

تتمثل قدرة وكفاءة الحاضنة أو المربي على التعامل مع الطفل في فترة الحضانة ، وخاصة في السنوات الأولى ، في الاستجابة لحاجات الطفل في الوقت المناسب ..

«فإذا استطاع القائمون على رعاية الطفل أن يتعرفوا على حاجاته ، وأن يستجيبوا لها في الوقت المناسب ، ساعد ذلك على تنمية علاقة إيجابية بينه وبين المحيطين به ، علاقة قوامها الثقة في نفسه وفيمن حوله ، كما يظهر ذلك في زيادة قدرته على تأجيل إشباعاته ، وفي الدفء والمرح اللذين يشيعان في تعامله مع أعضاء أسرته .

أما إذا لم يستطع القائمون على رعاية الطفل أن يتعرفوا على حاجاته أو يستجيبوا لها بطريقة سليمة ، أو إذا كان سلوكهم في التعامل معه يتميز بالخشونة بدلاً من الدفء ، وبالرفض بدلاً من القبول ، فإن ذلك يعمل على زرع بذور الشك لدى الطفل في البيئة المحيطة به ، ويظهر ذلك في علاقات التوتر السلبية المتزايدة ، التي تبدو أعراضها في صور متعددة ... ، مثل العزوف عن التفاعل ، والاكتئاب والحزن الذي قد يتضمن البكاء ، أو فقدان الشهية ، أو اللامبالاة ..»[٥]

إن بناء المودة بين الطفل والولي تبدأ بعد ولادته مباشرة ، وقد شرع الإسلام أن نصون الطفل وننشئه تنشئة حسنة ، فيؤذّن في أذنه حين يولد ، ويضمن الحاضن للطفل حاجاته الأساسية ، وأولها الرضاعة ، وعلى الحاضن أن يستشعر مكابدة الطفل في هذه المرحلة من مراحل حياته ، والتي تبدأ بقطع السرة ، ثم إذا قمّط قماطاً ، أو شد رباطاً ، فإنه يكابد الضيق والتعب ، ثم يكابد الرضاعة وإخراج الفضلات ، ثم يكابد نبت الأسنان ، وتحرك اللسان ، ثم يكابد الفطام ، والجلوس والقيام ، والسير والختان ، والأوجاع والأحزان ... الخ ، وكل ذلك يجب أن يُستوعب .

٣ ـ من أحق بحضانة الطفل ؟

للإجابة على هذا السؤال نستعرض بعض ما ورد بشأنها :

ففي سنن أبي داود ، أن امرأة قالت : يارسول الله ! إن ابني هذا كان بطني له وعاء ، وثديي له سقاء ، وحجري له حواء ، وإن أباه طلقني ، فأراد أن ينتزعه مني ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنت أحقُّ به مالم تنكحي»[٦]

وورد في صحيح البخاري وغيره ، أن ابنة حمزة اختصم فيها علي ، وجعفر ، وزيد ، فقال علي : أنا أحق بها وهي ابنة عمي ، وقال جعفر : ابنة عمي وخالتها تحتي ، وقال زيد : ابنة أخي ، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالتها ، وقال: «الخالة بمنزلة الأم» .

وفي سنن الترمذي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خيّر غلاماً بين أبيه وأمه ، وقال الترمذي حديث صحيح .

وفي سنن أبي داود ، عن عبد الحميد بن سلمة الأنصاري ، عن أبيه عن جده ، قال : أخبرني جدي رافع بن سنان ، أنه أسلم وأبت امرأته أن تسلم ، فأتت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقالت : ابنتي وهي فطيم أو شبهه ، وقال رافع : ابنتي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، «اقعد ناحية» وقال لها (للأم) : اقعدي ناحية» ، فأقعد البنت بينهما ، ثم قال : «ادعواها» فمالت إلى أمها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «اللهم اهدها» فمالت إلى أبيها فأخذها[٧] .

واستخلص ابن القيم ـ رحمه الله ـ من هذه الأحاديث خلاصة فقال : «إذا افترق الأبوان ، وبينهما ولد ، فالأم أحق به من الأب ، ما لم يقم بالأم ما يمنع تقديمها ، أو بالولد وصف يقتضي تخييره ، وهذا مالا يعرف فيه نزاع ، وقد قضىٰ به خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر على عمر بن الخطاب ، ولم يُنْكِرْ عليه مُنْكِر ، فلما ولي عمر قضى بمثله»[٨] .

وأجمل ابن القيم الآراء حول من له حق الحضانة فقال : «والولاية على الطفل نوعان ؛ نوع يقدم فيه الأب على الأم ، ومن في جهتها ، وهي ولاية المال والنكاح ،

ونوع تقدم فيه الأم على الأب ، وهي ولاية الحضانة والرضاع ، وقدم كل من الأبوين فيما جعل له من ذلك ، لتمام مصلحة الولد ، وتوقف مصلحته على من يلي ذلك من أبويه ، وتحصل به كفايته ..

ولما كان الرجال أقوم بتحصيل مصلحة الولد والاحتياط له في البضع ، قُدم الأب فيها على الأم ، فتقديم الأم في الحضانة من محاسن الشريعة والاحتياط للأطفال ، والنظر لهم ، وتقديم الأب في ولاية المال والتزويج كذلك .

فالصواب في المأخذ هو أن الأم إنما قُدمت ، لأن النساء أرفق بالطفل ، وأخبر بتربيته ، وأصبر على ذلك ، وعلى هذا فالجدةُ أم الأب أولى من أم الأم ، والأخت للأب أولى من الأخت للأم ، والعمة أولى من الخالة ، وعلى هذا فتقدم أم الأب على أب الأب ، كما تقدم الأم على الأب»[٩] .

ويُسقِطُ الحقّ في الحضانة موانعُ عدة منها : الكفر والرق والفسق والبداوة والسفر والنكاح ، فإن زالت الموانع ، عاد الحق في الحضانة .

ولا يحرم على المرأة التي تزوجت حضانة ابنها إذا اتفقت هي والزوج وأقارب الطفل على ذلك .

---

(١) مدخل إلى التربية الإسلامية ـ الأستاذ عبد الرحمن الباني ، المكتب الإسلامي ، ص ٢٣

(٢) راجع المعجم الوسيط ، مادة حضن .

(٣) راجع باب الحضانة من كتاب سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام للشيخ محمد بن اسماعيل الصنعاني ، طبعة دار الجيل ـ بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ج ٣ ص ١١٧٤ وكتاب منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، للشيخ ابراهيم بن محمد سالم بن ضويان ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ص ٣١٠

(٤) راجع كتاب الأطفال مرآة المجتمع ، د . محمد عماد الدين اسماعيل ، عالم المعرفة ص ١٣٩

(٥) المرجع السابق ، ص ١٣٩ و ١٤٠

(٦) أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة وقال حسن ، قال الأرناؤط في تخريج الزاد سنده حسن

(٧) أخرجه الأرناؤط في هامش زاد المعاد ، وقال : حديث حسن .

(٨) زاد المعاد لابن القيم ، ج ٥ ص ٤٣٥ .

الباب الثالث

الطبيعة المزدوجة للمولود ورعاية فطرته وملكاته

لما كان عمل المربي تالياً وتابعاً لخلق الله وإيجاده ، كما أنه تابع لشرع الله ودينه وأحكامه ، فقد شرع الله تعالى للمربين رعاية الفطرة وتحصينها والمحافظة عليها ، وتنمية ملكات ومواهب الطفل بصورة متوازنة ومتميزة بالإسلام ، ولا يمكن أن يتم ذلك دون معرفة طبيعة المولود ، وتقسيم حركة الطفل اليومية بحيث تشمل كل النشاطات المطلوبة منه ، وتهيئة الظروف للمارسة العملية ، ولا يمكن هنا الحديث عن كل حالة على حدة ، بحيث نضع لها الأهداف والوسائل ، وإنما سيكون الحديث بصفة العموم ، ويمكن لكل أسرة وفق ظروفها وإمكاناتها التعديل أو الإضافة ، وستكون معالجة هذا الموضوع من خلال الفصول التالية :

الفصل الأول : حقيقة الطفل وطبيعة النشأة ورعاية الفطرة
الفصل الثاني : الرعاية البدنية والإنفاق على الطفل والحاضنة
الفصل الثالث : تنمية المواهب والملكات مع المحافظة على التوازن

الفصل الأول :

حقيقة الطفل وطبيعة النشأة ورعاية الفطرة

لايمكن للمربي أن يؤدي ما عليه تجاه الطفل من مسؤولية إذا لم يدرك حقيقة الإنسان وطبيعة نشأته ، ثم يعمل على المحافظة على فطرة المولود وتطهير نفسه ، حتى يحقق رضوان الله تعالى . وسأحاول فيما يلي إلقاء الضوء على هذه الموضوعات .

١ ـ حقيقة الطفل

دلنا عليها خالقه سبحانه وتعالى فقال عز وجل : «إذ قال ربُّك للملائكة إنّي **خالقٌ بشراً من طين * فإذا سَوّيتُهُ ونَفَختُ فيه من رُوحي فقَعُوا له ساجدين»** سورة ص (٧١ - ٧٢) .

وقال سبحانه : «**وإذ قال ربُّك للملائكة إنّي خالقٌ بشراً من صلصالٍ من حمَإٍ مسنونٍ * فإذا سوّيتهُ ونفختُ فيه من رُوحي فقعُوا له ساجدينَ**»

سورة الحجر (٢٨ - ٢٩)

وقال تباركت أسماؤه : «**الذّي أحسن كُلَّ شيءٍ خلقهُ وبدأ خلق الإنسان من طينٍ * ثمَّ جعل نسلهُ من سُلالةٍ من ماءٍ مهين * ثمّ سوّاهُ ونفخ فيه من روحه وجعل لكمُ السَّمعَ والأبصار والأفئدةُ قليلًا ما تشكُرون**» (السجدة : ٧ - ٩) .

فالإنسان كلٌ له طبيعة مزدوجة تتمثل في الروح والمادة ؛ أما الروح فهي ليست مما يدخل في مجال البحث والدراسة لأنها من أمر الله تعالى الذي لفتنا

إليه فقال عز وجل : «**ويسألونَكَ عن الرُّوحُ قُلِ الروح من أمرِ ربِّي وما أُوتيتُم من العلم إلاّ قليلاً**» (الإسراء ٨٥)، وأما المادة فلن نبحث هنا في شأنها قبل أن تنفخ فيها الروح ولا بعد أن تخرج منها ، وإنما نتدبر فيها وهي في صورتها المندمجة مع الروح ، متمثلة في هذا الكائن الحي المعروف بالإنسان ، والذي يتكون جسده من عظام ولحم ودم وعصب وأطراف وأجهزة وعقل وعواطف وغرائز ... ملكات متعددة ، فتبارك الخالق سبحانه ، وهذا الإنسان بهذه المواصفات يميل بخلقته الفطرية إلى الحياة الجماعية في أسرة وقبيلة وشعب ، تحكمه علاقات وروابط ، ولقد جاء في كتاب الله عز وجل ما يلفت البشرية إلى ذلك من مثل قوله سبحانه : «**ومن آياتِهِ أن خلق لكُم مِن أنفُسكُم أزواجاً لتسكُنوا إليهَا وجعل بينكُم موّدةً ورحمةً إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرُون * ومن آياته خلقُ السماواتِ والأرضِ واختلافُ ألسنتكُم وألوانكُم إنّ في ذلك لآياتٍ للعالمين**» (الروم ٢١ - ٢٢) . وقوله تباركت أسماؤه : «**يا أيُّها الناسُ إنّا خلقناكُم من ذكَرٍ وأُنثىٰ وجعلناكُم شُعوباً وقبائل لتعارفُوا إنّ أكرمكُم عندَ اللهِ أتقاكُم إنّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ**» (الحجرات : ١٣)

ولقد عبر سيد قطب ـ رحمه الله ـ عن هذه الحقيقة الكبرى عن النفس الإنسانية فقال[1] : «إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة ، مزدوج الاستعداد ، مزدوج الاتجاه ، ونعني بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه ـ من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه ـ مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال . فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر ، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء ، وأن هذه القدرة كامنة في كيانه ، يعبر عنها القرآن الكريم بالإلهام تارة : «**ونفسٍ وما سواها ، فألهمها فُجُورها وتقوَاها** » .. ويعبر عنها بالهداية تارة : «**وهَدَينَاهُ النّجْدين**» .. فهي كامنة في صميمه في صورة استعداد .. والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية إنما توقظ هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك . ولكنها لا تخلقها خلقاً . لأنها مخلوقة فطرة ، وكأئنة طبعاً ، وكامنة إلهاما» .

٢ ـ طبيعة النشأة ورعاية الفطرة

يقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى : «**ووالدٍ وما ولد**» (البلد : ٣) ، .. إشارة خاصة إلى إبراهيم ، أو إسماعيل ـ عليهما السلام ـ وإضافة هذا إلى القسم بالبلد والنبي المقيم به ، وبانيه الأول وما ولد ... وإن كان هذا الاعتبار لا ينفي أن يكون المقصود هو : والد وما ولد إطلاقاً . وأن تكون هذه إشارة إلى طبيعة النشأة الإنسانية واعتمادها على التوالد ...»[٢] .

ونقل لنا قول الشيخ محمد عبده في تفسير هذه الآية : «ثم أقسم بوالد وما ولد، ليلفت نظرنا إلى رفعة قدر هذا الطور من أطوار الوجود ـ وهو طور التوالد ـ وإلى ما فيه من بالغ الحكمة وإتقان الصنع ، وإلى ما يعانيه الوالد والمولود في إبداء النشء وتكميل الناشئ ، وإبلاغه حدّه من النمو المقدّر له .

فإذا تصورت في النبات كم تعاني البذرة في أطوار النمو : من مقاومة فواعل الجو ، ومحاولة امتصاص الغذاء مما حولها من العناصر ، إلى أن تستقيم شجرة ذات فروع وأغصان ، وتستعد إلى أن تلد بذرة أو بذوراً أخرى تعمل عملها ، وتزين الوجود بجمال منظرها ـ إذا أحضرت ذلك في ذهنك ، والتفت إلى ما فوق النبات من الحيوان والإنسان ، حضر لك من أمر الوالد والمولود فيهما ما هو أعظم ، ووجدت من المكابدة والعناء الذي يلاقيه كل منهما في سبيل حفظ الأنواع ، واستبقاء جمال الكون بصورها ما هو أشد وأجسم»[٣] ...

وقد جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «كلُّ مولود يولد على الفطرة[٤] ، فأبواه يُهوّدانه ، أو ينصّرانه ، أو يمجّسانه، كما تُنتج البهيمة بهيمةً جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟! ثم يقول أبو هريرة واقرؤا إن شئتُم :

«فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون» (الروم : ٣٠) .

بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أصلاً من أصول التربية هو : أن

الخير في الإنسان أصيل وأن الشرّ فيه عارض ، وأن الطفل يُخلق على الدين الحنيف نقياً صافياً ، ولكن المجتمع الفاسد هو الذي يفسده ، والبيئة الفاسدة التي يعيش فيها هي التي تلوث فطرته ، وتفسد خلقه ، ولا سيما أبواه ، إذ لهما الدور الأكبر في صلاحه أو فساده ، وهما سبب من أسباب استقامته أو اعوجاجه فلو خُلّي بين الطفل وبين فطرته ، أو تمت رعايتها كما شرع الله ، لنشأ على الإيمان وعاش على الخير والصلاح ، وأما إذا كانت البيئة المحيطة به ـ وبصفة خاصة الأبوين ـ غير صالحة ، فسدت نفسيته ونشأ على الفساد وعدم الاستقامة..

ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك مثلاً محسوساً ، حيث شبه الطفل (بالدابة) التي يخلقها الله تبارك وتعالى كاملة الخلق ، جميلة المنظر والتكوين ، ولكن الناس يشوهون جمالها ، فيقطعون أنفها أو أذنها ، ويعبثون بها ، حتى تصبح ناقصة الخلق مشوهة الصورة !!

وتلك حقيقة ملموسة يحس بها كل صاحب عقل سليم ، وهي أن الخلق الكامل هو خلق الله ، وأن النقص إنما يأتي من فعل الإنسان ، فهل من مدكر ؟

وقد جاء في جزء من حديث قدسي في صحيح مسلم : «... وإني خلقت عبادي حنفاء كُلّهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ...» .

قال الإمام النووي في شرح مسلم : حنفاء ، أي مسلمين ، وقيل : طاهرين من المعاصي ، وقيل : مستقيمين منيبين لقبول الهداية ..

ومن هذا الحديث يتبين دور الشياطين في إفساد الفطرة وإخراج الإنسان عن الحنيفية ، فالشياطين يستخفون بالبشر ويذهبون بهم ، ويزيلونهم عما كانوا عليه، ويجولون معهم بالباطل .

الخلاصة : مما سبق يتبين أن مهمة المربي [الوالدين والمدرّس ...] بعد ميلاد الطفل هي : المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها ، وتوجيهها وجهة الصلاح من خلال برامج ومناهج متدرجة ومكافئة لعمر الناشئ ، بهدف تنشئته تنشئة

صحيحة بما يجعله إنسانا كاملا ـ حسب الاستطاعة والقدرة والإستعداد ـ في دينه ، وخلقه ، وجسمه ، وعاطفته ، ومهاراته ، وإحسانه لعمله كله .

---

(١) الأستاذ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ج ٦ ص ٣٩١٧

(٢) المرجع السابق ج ٦ ص ٣٩٠٩

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٩٠٩

(٤) وهي هنا : إيمانية : تتعلق بالقلب والنفس ، وتقوم على معرفة الله تعالى والإيمان به ، فيتطهر القلب وتزكو النفس .
وعملية : تتعلق بالبدن ، وتقوم على طهارته ، وحسن المظهر والتي تشير إليها أحاديث سنن الفطرة .

الفصل الثاني :

الرعاية البدنية
والإنفاق على الطفل والحاضنة

اهتم علماء المسلمين وفقهاؤهم بهذا الموضوع فصنفت فيه التصانيف ، كما خُصصت له الأبواب في كتب الفقه ، ومن أنفع الكتب التي ألفت في ذلك ، كتاب ..«تحفة الودود بأحكام المولود» للعلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ وقد وصفه بإيجاز في مقدمته فقال : «وهذا كتاب ، قصدنا فيه ذكر أحكام المولود المتعلقة به بعد ولادته ما دام صغيراً من عقيقته وأحكامها ، وحلق رأسه ، وتسميته ، وختانه، وبوله ، وثقب أذنه ، وأحكام تربيته ، وأطواره من حين كونه نطفة إلى مستقره في الجنة أو النار ، فجاء كتاباً بديعاً في معناه ، مشتملاً من الفوائد على مالا يكاد يوجد في سواه ، من نكت بديعة من التفسير وأحاديث تدعو الحاجة إلى معرفتها وعللها والجمع بين مختلفها ، ومسائل فقهية لا يكاد الطالب يظفر بها ، وفوائد حكمية تشتد الحاجة إلى العلم بها ، فهو كتاب ممتع لقارئه ، معجب للناظر فيه ، يصلح المعاش والمعاد ، ويحتاج إلى مضمونه كل من وهب له شئ من الأولاد»[1] . فأنصح المربين الانتفاع بهذا الكتاب القيم في موضوعه ، وسوف أشير إشارات سريعة لأهم هذه الفوائد :

١ ـ الفرح بميلاد الطفل وعدم التسخط عند موته

ورد في كتاب الله عز وجل ما يدلنا على فرح المؤمنين الصالحين بمن يأتي من بعدهم من الذرية الصالحة : «فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون» (آل عمران : ١٧٠) ، كما شرع الله تعالى مبيناً لنا أنه يجوز أن نبشر

بميلاد الطفل فقال سبحانه في شأن بشرى الآباء : «**ولقد جاءت رُسُلُنا إبراهيمَ بالبشرى قالوا سلاما ...**» إلى قوله تعالى : «**فلمّا ذهب عن إبراهيم الروعُ وجاءت البشرى**» (هود : ٦٩ - ٧٤) . وفي موضع آخر نقل لنا الحق سبحانه قول الملائكة لإبراهيم عليه السلام : «**قالوا لا تَوجَلْ إنّا نبشّرك بغلام عليم**» (الحجر:٥٣)؛ وقال الله عز وجل : «**يا زكريّا إنّا نبشّرك بغلام اسمُه يحيى لم نجعل له من قبل سميّاً**» (مريم : ٧) ، وقال في موضع آخر : «**فنادته الملائكة وهو قائمٌ يصلّي في المحراب أنّ الله يبشّرك بيحيى**» (آل عمران : ٣٩)

وقال في شأن الأمهات وبشارتهن : «**وامرأتُه قائمةٌ فضحِكتْ فبشّرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب**» (هود : ٧١) . كما دلنا سبحانه على أن الذي يجد الطفل أو يرزق به يفرح ، فقال عن السيارة الذين وجدوا يوسف عليه السلام : «**قال يابشرى هذا غلام وأسرّوه بضاعة**» (يوسف : ١٩) ، ولما كانت البشارة تسر الإنسان وتفرحه ، نُدب للمسلم أن يبادر إلى مسرة أخيه وإعلامه بما يُفْرحه .

فإن فاتت الإنسان البشارة ، استحب له التهنئة ، والفرق بينهما أن البشارة إعلام للإنسان بما يسره قبل علمه به ، وأما التهنئة فهي دعاء له بالخير فيه بعد أن علم به ..

وعدم التسخط إذا مات الولد يستفاد من أحاديث كثيرة ، أذكّر هنا ببعضها لما فيه من الفائدة ؛ ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنساء : «ما منكنّ امرأة يموت لها ثلاث من الولد ، إلا كانوا لها حجاباً من النار» فقالت امرأة : واثنان ؟ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «واثنان» .

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : «ما من مسلم يموت له ثلاث من الولد لم يبلغوا الحنث فتمسه النار إلا تحلة القسم»[٢] .

وقد شرع الإسلام الصبر عند المصيبة والاسترجاع لما في ذلك من الخير ،

روى الترمذي وابن حبان عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إذا مات ولد العبد قال الله عز وجل لملائكته : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون حمدك واسترجع (أي قال إنا لله وإنا إليه راجعون) ، فيقول : إبنوا لعبدي بيتاً في الجنة ، وسموه بيت الحمد» .

وليست عاقبة الصبر والاسترجاع في الآخرة فقط ، وإنما قد يُعجّل منها في الدنيا أيضاً ، فقد ورد في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه ـ قال : «كان ابن لأبي طلحة يشتكي ، فخرج أبو طلحة ، فقُبض الصبي ، فلما رجع أبو طلحة قال : ما فعل الصبي ؟ قالت أم سليم : هو أسكن ما كان ، فقربت إليه العشاء فتعشى . ثم أصاب . فلما فرغ قالت وار الصبي . فلما أصبح أبو طلحة أتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره . قال : (أعرستم الليلة ؟) قال : نعم . قال : (اللهم بارك لهما) فولدت غلاماً ...» .

٢ ـ التأذين في أذن المولود وتحنيكه وتسميته وحلق رأسه والعقيقة

ندب الشرع إلى التأذين في أذن المولود ، عن أبي رافع قال : «رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أذّن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة رضي الله عنها» رواه أبو داود والترمذي وقال الأخير : حديث صحيح .

كما يستحب تحنيك المولود ، فقد ورد في تمام حديث أنس بن مالك الوارد في الصحيحين ، والذي أوردت جزءاً منه في نهاية الفقرة السابقة : «... فولدت غلاما فقال لي أبو طلحة : احمله حتى تأتي به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وبعث معه بتمرات ، فأخذه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أمعه شيء ؟ قالوا: نعم تمرات . فأخذها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمضغها ثم أخذها من فيه ، فجعلها في في الصبي ثم حنكه وسماه عبد الله» ، وفي الصحيحين من حديث أبي بردة عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال : ولد لي غلام فأتيت به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة (أي مضغها ودلك بها حنك المولود) .

زاد البخاري : ودعا له بالبركة ودفعه إليه ، وكان أكبر ولد أبي موسى ـ رضي الله عنه ..

أما عن التسمية فقد ورد عن سمرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعة ويسمى فيه ويحلق رأسه»[٣] . وروى مالك في موطئه عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : وزنت فاطمة شعر رأس حسن وحسين وزينب وأم كلثوم ، فتصدقت بزنة ذلك فضة وقد ورد في السنة أحاديث تحدد وقت التسمية ، وما يستحب من الأسماء وما يكره منها ، وتكنية المولود بأبي فلان ، وقد جمع الشيخ عبد الله علوان ـ رحمه الله ـ في كتابه «تربية الأولاد في الإسلام» مبحثاً كاملاً عن تسمية المولود وأحكامها ، جاء في نهايته : «فما على الآباء والأمهات إلا أن ينهجوا الطريق الأقوم في تسمية أولادهم ، وأن يجنبوهم الأسماء التي تحط من أقدراهم ، وتمس بكرامتهم ، وتحطم من شخصياتهم ومعنوياتهم ، وعليهم كذلك أن يتأسوا بالنبي المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ، في تكنية أولادهم منذ الصغر بكنية حبيبة إلى قلوبهم ، لطيفة إلى أسماعهم ، حتى يشعروا بشخصيتهم ، وتنمو في نفوسهم روح المحبة والتكريم لذواتهم ، وحتى يعتادوا الأدب العالي مع من حولهم في الخطاب ، وملاطفة الأقران ..»[٤] .

وأما العقيقة فقد روى البخاري في صحيحه عن سلمان بن عامر الضبي قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «مع الغلام عقيقته ، فأهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى» ، وعن أم كرز أنها سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن العقيقة فقال : «عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة ، ولا يضركم أذكراناً كنّ أم إناثاً» صححه الترمذي وغيره .

٢ ـ الإنفاق على الطفل والحاضنة

وردت النصوص التي تُلزم الوالد بالإنفاق على أطفاله والحاضنة لهم ، فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أي الذنب أعظم ؟ قال : «أن تجعل لله نداً وهو

خلقك» قيل : ثم أي ؟ قال : «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» متفق عليه .

وروى الإمام أحمد عن وهب قال : أن مولى لعبد الله بن عمرو قال له : إني أريد أن أقيم هذا الشهر ههنا ببيت المقدس ، فقال له : تركت لأهلك ما يقوتهم هذا الشهر ؟ قال : لا ، قال : فارجع إلى أهلك ، فاترك لهم ما يقوتهم ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته»[٥] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدقة فقام رجل فقال : يارسول الله ، عندي دينار ، قال : «تصدّق به على نفسك» ، قال : عندي آخر ، قال : «تصدّق به على ولدك» ، قال : عندي آخر ، قال: «تصدق به على زوجك» ، قال عندي آخر ، قال : «تصدق به على خادمك» ، قال : عندي آخر ، قال : «أنت به أبصَر» رواه أبو داود وغيره[٦] .

وعن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إنّ الله سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيّع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» رواه بن حبان[٧] .

ومن ذلك يتبين أن ربّ البيت مسؤول عن الإنفاق عمن يعول ، ولقد وردت النصوص التي تؤكد على أن الإنسان لا يقدم على الزواج أصلاً ، إلا إذا امتلك الباءة ، كما وردت النصوص التي تؤكد على الإنفاق على الحاضنة بصفة خاصة في فترة الرضاعة من مثل قوله تعالى : **«والوالدات يرضعن أولادهنّ حولين كاملين لمن أراد أن يتمّ الرّضاعة ، وعلى المولود له رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف ، لا تكلّف نفسٌ إلاّ وسعها ، لا تضارّ والدةٌ بولدها ولا مولودٌ له بولده، وعلى الوارث مثل ذلك، فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ، وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلّمتم ما أتيتم بالمعروف»** (البقرة : ٢٣٣) .

وقال عز وجل في الإنفاق بصفة عامة على الأهل : «**ليُنفق ذو سعةٍ من سعته ومن قُدِر عليه رزقه فلينفق ممّا آتاه الله لا يكلِّف الله نفساً إلاّ ما آتاها**» (الطلاق:٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «دينار أنفقتَه في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينارٌ أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك» رواه مسلم .

وعن أبي عبد الله ، ويقال له أبا عبد الرحمن ثوبان بن بُجْدُد مولى رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله» رواه مسلم .

ومن كل هذه النصوص تتبين أفضلية الإنفاق على العيال والحاضنة مع عدم الإسراف ، والموازنة مع الواجبات الأخرى للإنفاق ، فالله أسأل أن يرزقنا الفهم والتطبيق .

---

(١) تحفة الودود بأحكام المولود ، للعلامة ابن القيم ، تحقيق الدكتور / عبد الغفار سليمان النبداري ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ص ١٠

(٢) «لم يبلغوا الحنث» : أي لم يبلغوا مبلغ الرجال ليكتب عليهم الحنث وهو الإثم

(٣) رواه أصحاب السنن كلهم وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) عبد الله ناصح علوان ، تربية الأولاد في الإسلام ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، حلب وبيروت ١٤٠٠ هجرية / ١٩٨١ م ، ص ٨٧

(٥) قال الشيخ ناصر الدين الألباني في إرواء الغليل : إسناده حسن

(٦) قال الشيخ ناصر الدين الألباني في إرواء الغليل : إسناده حسن

(٧) قال الشيخ ناصر الدين الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام : حديث صحيح .

الفصل الثالث :

تنمية المواهب والملكات
مع المحافظة على التوازن

إن اكتشاف المواهب والتعرف على الطاقات والإمكانات التي لدى الطفل بغرض تنميتها واستثمارها بما يحقق الخير والنفع للطفل ، تعدّ من المهام الكبيرة الملقاة على عاتق المربين ، لأن ذلك يمتد تأثيره في حياة الإنسان حتى الموت ، وهذه المهمة ليست سهلة ، بل هي من أشق المهام التي يجب أن ينهض بها الإنسان ، وتحتاج إلى قوة ملاحظة وخبرة بالإضافة إلى الوقت الطويل ، نظراً لأنها تتعلق بالنفس الإنسانية من جهة ، وفي أصعب أطوارها من جهة أخرى ، ففي هذه المرحلة من حياة الإنسان ، لا يستطيع الطفل التمييز الكامل ، ولا التعبير الصحيح في أغلب الأحايين .

١ ـ تنمية مواهب الطفل وملكاته :

إذا كانت التربية تعني إيصال المُربَّىٰ إلى الكمال الذي هيء له ، فلا بد أن يعرف المُربي مواهب الطفل وملكاته واستعداداته ، حتى لا ينمي موهبة على حساب أخرى ، أو ملكة على حساب غيرها ، فيحصل التمزق والقلق النفسي للطفل ، والاضطراب في مقومات شخصيته .

وكذلك لا يمكن وضع مناهج التربية المتعددة المراحل ، إلا إذا تم التعرف إلى إمكانات واستعدادات الطفل في كل مرحلة ، بحيث يشمل المنهج ما يساعد على تنمية الاستعدادات وتطوير الإمكانات جميعها ، فتتكامل عملية التربية التي تؤدي إلى تنمية شخصية الطفل بصفة متوازنة .

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه ، وإن كان أساس خلق البشر جميعاً واحداً ، إلا أن

كل إنسان يختلف عن غيره في مواهبه وملكاته واستعداداته ، ولقد لفتنا الله تعالى إلى مثل ذلك في قوله عز وجل : «**ومن آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشرٌ تنتشرون * ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكُنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون * ومن آياته خَلْقُ السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين**» (الروم : ٢٠ - ٢٢) .

ولا شك أن الأطفال يختلفون فيما بينهم أمزجةً وذكاء وطاقة .. إلخ ، فالمربي الحكيم هو الذي يكتشف مواهب الطفل واستعداداته ويتعرف إلى ملكاته التي فطر عليها ، ويهيئ له البيئة الصالحة والمناسبة ويضعه بعد ذلك في المكان المناسب ...

فإذا كان الطفل من أولئك الذين لديهم الاستعداد للتحصيل والمتابعة في الدراسة ، فعلى المربي أن يسهل له الطريق ويهيئ الأسباب ليصل الطفل إلى هدفه وتحقيق أمله ـ ما دام مشروعاً ـ .

وإن كان الطفل من أولئك الذين لديهم ميل ورغبة في تعلم صنعة من الصنائع، أو مهنة من المهن .. فعلى المربي أن ييسر له الأمر . وفي ذلك يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

«ومما ينبغي أن يعتمد حال الصبي وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها، فيعلم أنه مخلوق له فلا يحمله على غيره ما كان مأذوناً فيه شرعاً ؛ فإنه إن حمل على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه وفاته ما هو مهيأ له ، فإذا رآه حسن الفهم صحيح الإدراك جيد الحفظ واعياً ، فهذه من علامات قبوله وتهيئه للعلم ، لينقشه في لوح قلبه ما دام خالياً فإنه يتمكن فيه ويستقر[1] ويزكو معه ، وإن رآه بخلاف ذلك من كل وجه وهو مستعد للفروسية ، وأسبابها من الركوب والرمي واللعب بالرمح ، وأنه لا نفاذ له في العلم ولم يخلق له ، مكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها فإنه أنفع له وللمسلمين ، وإن رآه بخلاف ذلك أنه لم يخلق لذلك

ورأى عينه مفتوحة إلى صنعة من الصنائع مستعداً لها وهي صناعة مباحة نافعة للناس ، فليمكنه منها . هذا كله بعد تعليمه له ما يحتاج إليه في دينه ، فإن ذلك ميسر على كل أحد لتقوم حجة الله على العبد فإن له على عباده الحجة البالغة ، كما له عليهم النعمة السابغة ، والله أعلم»[٢] .

ونظراً لأن للذكاء والغباء أثراً كبيراً في تفوق الطفل أو إخفاقه في التكوين الثقافي والإعداد العلمي ؛ ولما كان المربي لا يعدم وسيلة في التعرف إلى نفسية الطفل ، فإنه يستطيع أن يقدر ملكة الذكاء أو الغباء لديه ، وأن يحدد ما يميل إليه من دراسة وصناعة ؛ فينبغي على المربي أن يرسم للطفل الحياة بما يتلاءم مع مصلحته ، وما يتناسب مع رغبته ـ ما دام مشروعاً ـ .. سواء ما يتعلق بالنبوغ الدراسي أو ما يتصل بالصناعة أو المهنة أو الحرفة .. الخ

فإن كان الطفل يرغب في التحصيل العلمي ، وهو من الفطانة والذكاء بمكان، فعلى المربي أن لا يحول بينه وبين هذه الرغبة ، ولو وجد الأب في سبيل ذلك ما يثقل كاهله من النفقة والتكاليف ، فسيجني ثمرة ذلك حين يرى ولده في مصاف المفكرين والنابغين الذين ينفعون البشرية بفكرهم ولا سيما الفكر الذي ينطلق من فهم للإسلام وللعالم والعصر الذي يعيش فيه الإنسان ، وستصله الثمرة بعد موته حين يقرأ هذا الولد الصالح ويدعو لوالده .

وإن كان الطفل يرغب في العمل المهني أو التعامل التجاري .. الخ ، فعلى المربي أن لا يحول بينه وبين هذه الرغبة أيضا ، عسى أن يتفوق الطفل في عمله واختصاصه وينفع المجتمع بمهنته وصناعته أيضاً ..

أما إذا وقف الأب حجر عثرة في طريق الطفل ، وما ينشده من أهداف ، ويتطلع إليه من آمال في حياته ، فإن الطفل قد يصاب بعقد نفسية ، ويتأثر صحياً.. ، وربما وقعت الخصومة بين الطفل ووالديه ، وقد ينتهي الأمر في النهاية إلى عقوق الوالدين ، وكان السبب في ذلك تصرف الأب تجاه الابن ، فيقع ما لم يحسب حسابه ، ويحدث ما لا تحمد عقباه .. أعاذنا الله من ذلك .

ولا بد من مراعاة الاستعدادات والميول الفطرية .. فالطفل الذي لديه استعداد وميل للأدب والشعر والكتابة مثلاً من الصعب أن ينبغ في الطب أو الهندسة ...، كما أنه ليس من السهل أن يتفوق الطفل في كل علم يحصله أو مادة يدرسها ، في حين أنه من السهل عليه أن يتفوق في المواد التي يحبها ويميل إليها .. ولعل في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجهنا إلى هذه القضية ، حيث قال صلى الله عليه وسلم : «اعملوا فكلّ ميسر لما خلق له»[٣] .

٢ ـ تحسين أخلاق الأطفال

الأخلاق هي ثمرة الاعتقاد لذلك اهتم علماء المسلمين بأمر تحسين أخلاق الصبيان ، وممن أفردوا لهذا الموضوع باباً خاصاً ، الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ في كتابه الإحياء ، وجعل عنوانه : «بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم» ، ومما قاله ـ رحمه الله ـ : «اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها ، والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ، ومائل إلى كل ما يمال به إليه ، فإن عُوّد الخير وعُلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب ؛ وإن عُوّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له . وقد قال الله عز وجل : **«يا أيّها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم نارا ..»** (التحريم : ٦)، ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا ، فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى ؛ وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ، ولا يعوده التنعم ، ولا يحبب إليه الزينة والرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد ، بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره ..»[٤] .

وقد أوجز ابن القيم في هذا الباب كلاماً طيباً رأيت أن أنقله بالكامل حيث يقول : «ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خُلقه ، فإنه ينشأ

على ما عوده المربي في صغره من حرد وغضب ولجاج وعجلة وخفة مع هواه ، وطيش وحدة وجشع ، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك ، وتعتبر هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له ، فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولا بد يوما ما ، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها .

وكذلك يجب أن يجتنب الصبي إذا عقل : مجالس اللهو والباطل ، والغناء وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء ، فإنه إذا علق بسمعه عسر عليه مفارقته في الكبر ، وعز على وليه استنقاذه منه ، فتغيير العوائد من أصعب الأمور ، يحتاج صاحبه إلى استجداد طبيعة ثانية ، والخروج عن حكم الطبيعة عسر جداً .

وينبغي لوليه أن يجنبه الأخذ من غيره غاية التجنب ، فإنه متى اعتاد الأخذ صار له طبيعة ، ونشأ بأن يأخذ لا بأن يعطي ، ويعوده البذل والإعطاء ، وإذا أراد الولي أن يعطي شيئاً أعطاه على يده ليذوق حلاوة الإعطاء ، ويجنبه الكذب والخيانة أعظم مما يجنبه السم الناقع ، فإنه متى سهّل له سبيل الكذب والخيانة أفسد عليه سعادة الدنيا والآخرة وحرمه كل خير .

ويجنبه الكسل والبطالة والدعة والراحة ، بل يأخذه بأضدادها ولا يريحه إلا بما يجم نفسه وبدنه للشغل ، فإن للكسل والبطالة عواقب سوء ومغبة ندم وللجد والتعب عواقب حميدة ، إما في الدنيا وإما في العقبى وإما فيهما ، فأروح الناس أتعب الناس ، وأتعب الناس أروح الناس ، فالسيادة في الدنيا والسعادة في العقبى ولا يوصل إليها إلا على جسر من التعب .

قال يحيى بن أبي كثير : لا ينال العلم براحة الجسم ويعوده الانتباه آخر الليل فإنه وقت قسم الغنائم وتفريق الجوائز ، فمستقل ومستكثر ومحروم ، فمتى اعتاد ذلك صغيراً سهل عليه كبيراً

ويجنبه فضول الطعام والكلام والمنام ومخالطة الأنام ، فإن الخسارة في هذه الفضلات وهي تفوّت على العبد خير دنياه وآخرته ، ..»[٥] .

وكما يقال ينشأ الطفل في أول أمره صفحة بيضاء نقية والمربي يكتب عليها

ما شاء ، وذلك من خلال ما يعوده عليه ، ولقد ثبت من خلال التجارب أن السنوات الأولى من عمر الطفل هي أهم السنوات في اكتساب الأخلاق المكتسبة، فالطفل مثل الشريط المسجل القابل للتسجيل عليه .

٣ ـ ضرورة المحافظة على التوازن :

تستعمل لفظة التوازن في لغة العرب بمعنى التعادل ، وقال سيبويه في لسان العرب : اتّزن تكوّن على الاتخاذ والمطاوعة .

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسير لفظة (الميزان) الواردة في قوله تعالى : **«الله الذي أنزل الكتاب بالحقِّ والميزانَ وما يدريك لعلّ الساعة قريبٌ»** (الشورى : ١٧) . «والميزان حقيقته آلة الوزن ، والوزن : تقدير ثقل جسم ؛ والميزان هنا مستعار للعدل والهدى بقرينة قوله «أنزل» فإن الدين هو المنزل ، والدين يدعو إلى العدل والإنصاف في المجادلة في الدين وفي إعطاء الحقوق ، فشُبه بالميزان في تساوي رجحان كفتيه»[٦] .

وللإمام محمد الرازي فخر الدين في تفسير لفظة (الميزان) الواردة في قوله تعالى : **«والسماء رفعها ووضع الميزان * ألاّتطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان»** (الرحمن : ٧ - ٩) وجهة نظر حيث يقول : «والميزان ذكره الله تعالى ثلاث مرات كل مرة بمعنى آخر ، فالأول هو الآلة ـ ووضع الميزان ـ والثاني بمعنى المصدر ـ لا تطغوا في الميزان ـ أي الوزن ، والثالث للمفعول ـ لا تخسروا الميزان ـ أي الموزون ؛ وذكر الكل بلفظ (الميزان) لما بيّنا أن الميزان أشمل للفائدة وهو كالقرآن ... ؛ وبين القرآن والميزان مناسبة ، فإن القرآن فيه من العلم ما لا يوجد في غيره من الكتب ، والميزان فيه من العدل ما لا يوجد في غيره من الآلات»[٧] .

ومن ذلك يتبين أن الإنسان الذي يريد أن يطيع من تجب طاعته وأن يسلك السبيل القويم سلوكاً متوازناً فلا بد له أن يطيع الخالق الذي خلقه فهو أعرف

بحقيقته **«ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير»** ؟ (الملك : ١٤) ، وأن يتخذ الطريق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم : **«وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور»** (الشورى : ٥٢ - ٥٣)

وقد سبق أن بينا في الفصل الأول **أن الإنسان كلٌّ له طبيعة مزدوجة تتمثل في الروح والمادة ، وأنه يولد مفطوراً على الحياة الجماعية** ، فهو يولد في أسرة صغيرة تعيش في مجتمع معين ، والبيئة المحيطة بمادياتها ومعنوياتها لها تأثيرها في توجيه السلوك لدى الطفل ، وتنمي عنده السلوك الاجتماعي ، وهذا السلوك الاجتماعي يتأثر بالعلاقات الاجتماعية التي تنشأ نتيجة وجوده في أسرة وفي مجتمع ، كما تختلف هذه العلاقات باختلاف حجم الجماعة وأنماط سلوكها ..

ولو رجعنا إلى كتاب الله عز وجل وما صح من سنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، لوجدنا أن أكثر الأمور ذكراً فيهما بعد العقيدة هو موضوع الآداب والسلوك الاجتماعي ، فيندر أن تخلو سورة من السور المكية من واجبات اجتماعية تلزم بالحرص عليها والاهتمام بأدائها ، وأما السور المدنية فمنها سور كاملة ذات اهتمام بجوانب السلوك الاجتماعي ، وللأسف الشديد فهذا الموضوع لم يحط بعناية كبيرة من الدراسة ..

وينبغي المحافظة على الطبيعة المزدوجة التي خلق الله تعالى الانسان عليها ، فمن الضروري أن يلتفت المربي من الأيام الأولى لعمر الطفل إلى الجانب الروحي ويعتني به كما يعتني بجانب الجسد ، ولنتدبر قول الله تعالى في شأن سيدنا موسى عليه السلام وهو طفل : **«وألقيتُ عليك محبّةً منّي ولِتُصنَعَ على عيني»** (طه:٣٩) ؛ يقول الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ : (وألقيتُ عليك محبة مني) معناه ، ألقى الله عز وجل محبته على موسى ، فحببه إلى آسية ، حتى ربّته ، وإلى فرعون ، حتى كفّ عنه عاديته ، (ولتصنع على عيني) قيل : لِتُغَذَّى ، ولتربَّى على محبتي

وإرادتي . ا . ه فمن باب أولى أن ينتهج المربون هذا النهج في تربية الأطفال بحيث تكون المحافظة على جسمه بأطرافه المختلفة وقواه وملكاته المتعددة .. فيكون بمنأى عن الإصابة بالأمراض والأوبئة ، وفي نفس الوقت لا بد من تزكية النفس وتطهيرها ، فلا يحرص المربي على ستر الجسم وتغذيته لينمو فقط ، وإنما لا بد من تنشئة الطفل على حب الله وتقوى الله ، فإذا كان اللباس يستر عورات الجسم ويزينه ، فإن التقوى تستر عورات القلب وتطهره .

---

(١) وقال د . عبد الغفار البنداري محقق الكتاب : على الآباء أن يتنبهوا إلى هذه الخاصية التي يتميز بها الطفل في بكورة عمره وأول سنه وهي الفترة الذهبية في عمره حيث ينمو عند الطفل استعداد التلقي والحفظ بعمق وانتشار وتبقى به المعلومات في ذهنه بقية عمره . لذا فعلى الآباء الاهتمام بتلقين أطفالهم علوم القرآن والحديث بأقصى طاقة في هذه السن المبكرة ـ ورحم الله أسلافنا الذين كانوا يحفظون القرآن ولهم من العمر سبع سنين وهذه أمانة ومسؤلية الآباء اليوم فليعلم .

(٢) تحفة الودود بأحكام المولود ، للعلامة ابن القيم ، ص٢١٢

الحواشي :

(٣) انظر صحيح الجامع الصغير للألباني رقم ١٠٨٥

(٤) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد الغزالي ، دار المعرفة ، بيروت ج ٣ ص ٧٢

(٥) تحفة الودود بأحكام المولود للعلامة ابن القيم ، ص ٢٠٩ و٢١٠

(٦) الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، الجزء ٢٥ ص ٦٨

(٧) الإمام / محمد الرازي فخر الدين ، التفسير الكبير ، دار الفكر ، ج ١٥ ص ٩٢ و ٩٣

الباب الرابع

سلوك المربين وتعليم الأطفال والترفيه عنهم

برزت في هذا العصر عملية توجيه الإنسان ، وازدادت الوسائل والأدوات التقنية اللازمة لتحقيق ذلك ، كما تطورت العلوم الإنسانية والدراسات التي تتعلق بالإنسان ، في تفكيره وحركته وسلوكه وأخلاقه . . .

ومن هنا فلا بد من التعرض إلى سلوك المربين نحو ومع الأطفال في فترة الحضانة ، إذ أن هذا السلوك يترك آثاره في حياة هذا الإنسان المستقبلية ، وسوف يعالج هذا الباب موضوع سلوك المربين وتعليم الأطفال والترفيه عنهم من خلال الفصول التالية :

الفصل الأول : سلوك المربين مع الأطفال

الفصل الثاني : دار الحضانة ودورها في حياة الطفل

الفصل الثالث : تنمية عادة القراءة عند الطفل

الفصل الرابع : اللعب ودوره في حياة الطفل

الفصل الأول :

سلوك المربين مع الأطفال

لما كانت مجالات سلوك الإنسان كثيرة ويصعب حصرها في مثل هذه الدراسة المحدودة ، فسوف أقتصر هنا على عددٍ من المجالات لأهميتها وتأثيرها الكبير في حياة الطفل مستقبلاً ، مع اعطاء فكرة سريعة عن مقصود السلوك والمؤثرات عليه :

١ ـ السلوك والمؤثرات عليه :

أقصد بسلوك المربين : كل نشاط أو عمل يقوم به هؤلاء تجاه الأطفال بقصد تحقيق هدف معين ، فوحدة السلوك تمثل سلسلة متصلة من النشاط أو الأعمال التي لها بداية ونهاية ، والذي يجعل هذا النمط من النشاط أو الأعمال يمثل وحدة سلوك ، هو وحدة الهدف أو الاتجاه .

ويرجع السبب في الاهتمام بالسلوك إلى أن : كل عمل أو نشاط يقوم به المربي له بواعث أو دوافع داخلية في نفس المربي ، كما يتأثر بالظروف المحيطة والوسائل المتوفرة لإنجاز هذا الهدف ، وعليه : فالسلوك ما هو إلا نتاج علاقات صادرة عن تفاعل الانسان بميوله وحاجاته ونزعاته وحوافزه واتجاهاته مع البيئة المحيطة به .

أ ـ أهم المؤثرات على السلوك بصفة عامة

ومن أهم المؤثرات على سلوك المربي ما يلي :

● **البيئة الثقافية العامة :** أعني بذلك الأساس الثقافي للمجتمع ، من لغة وقيم وعادات ، ووسائل الاعلام من صحف ومجلات وإذاعة «وتلفزيون» ، فالمربي بوصفه فرداً من أفراد المجتمع لديه الاستعداد للتأثر بما يسمع ويرى ، كما أنه لديه القدرة على التأثير بدرجة ما ، وبالتالي إذا كانت السمة الغالبة على

المجتمع المحيط به هي الخير ، أثرت عليه وسار هو أيضاً في طريق الخير ، وإن كانت غير ذلك أثرت عليه أيضاً ، والحالة الثانية في الغالب هي الأكثر تأثيراً في النفس لأسباب ليس هنا مجال ذكرها .

● **البيئة الثقافية الخاصة :** وأعني بذلك البيئة القريبة جداً من المربي والمحيطة به ، والتي تتمثل في الأسرة والجيران وأصدقاء الدراسة أو العمل ، ومن يلتقي بهم في صلواته في المسجد أو حلقات الدرس .. إلخ ، فهو يتأثر بأخلاقهم وسلوكهم ، ويضاف إلى ذلك المواد الثقافية الخاصة به ، سواء كانت تتعلق بدراسته أو ما يطلع عليه في مكتبته الخاصة أو في المكتبات التي يتردد عليها .. فكل ذلك يؤثر في فكره وسلوكه ..

● **الخبرات الخاصة :** وأعني بذلك التجارب التي يمر بها المربي في حياته ، والتي لا يشترك معه فيها بنفس القدر غيره من الأفراد ، وأهم هذه الخبرات تأثيراً على السلوك ، التجارب التي مر بها المربي نفسه في مرحلة طفولته ...

ب ـ أهم المؤثرات على سلوك المربين تجاه الأطفال خاصة

نُذكِّر هنا بالتأثير الناتج عن بعض العادات الموروثة من أجيال سابقة :

● التأثر بما شاع من الأمثال بين الناس (وخاصة العامة منهم في كثير من بلدان المسلمين) ، من قولهم : «ابن الوز عوّام» و «الولد يطلع لخاله والبنت لخالتها» و «اقلب القدرة على فمها تطلع البنت لأمها» ، فهذه العبارات لها تأثيرها العميق في سلوك بعض المربين ، حتى أن الواحد منهم يعتقد ، أن الأطفال لا يحتاجون إلى عناية أو رعاية ، فنشأة الطفل ستكون آلية كما ورد في الأمثال ، ونحن لا ننكر أن هذه الأمثال تشير إلى الوراثة ، ولكن ليس معنى ذلك أن يتّكل المربون على ذلك ، وأن يقصروا في النهوض بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم ، مع التسليم بالصفات الوراثية .

● كما أن كثيراً من المربين يعتقدون أن الأطفال لا يتأثرون في تربيتهم السلوكية بما يكتسبونه من خبراتهم بالتعامل مع البيئة المحيطة بهم ، ويعجب الإنسان

حين يرى أن هؤلاء المربين لا يستفيدون مما شاع في الأمثال من مثل قولهم : «التعليم في الصغر كالنقش على الحجر» و «من شب على شئ شاب عليه» !! فيهملون هذا الجانب أو يستخدمون أساليب خاطئة ...

٢ ـ الرحمة والرأفة بالطفل والحرص عليه

أرشدنا الله تعالى إلى أن الغلظة والفظاظة لها آثارها السيئة ، فقال عز وجل في شأن القدوة صلى الله عليه وسلم : **«فبما رحمة من الله لِنتَ لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضُّوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر»** (آل عمران : ١٥٩) ، وذكرنا سبحانه أن القدوة ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان حريصاً على المؤمنين رؤوفاً رحيماً بهم ، فقال عز وجل : **«لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم»** (التوبة : ١٢٨) ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم بالأطفال ـ خاصة ـ رحيماً عطوفا ، وكان إذا رأى أحداً من أصحابه لا يرحم أولاده ينهاه بشدة ، ويوجهه وجهة الخير والصلاح .. ، فقد روى البخاري في الأدب المفرد ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء أعرابي إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أتقبّلون صبيانكم . فما نقبّلهم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أوَأملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة ؟) . وروى البخاري في الأدب المفرد أيضاً ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل ومعه صبي ، فجعل يضمُّه إليه ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أترحمه ؟) قال : نعم ، قال : (فالله أرحم بك منك به ، وهو أرحم الراحمين) . وروى البخاري في صحيحه ، أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قبّل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحسن بن علي ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس ، فقال الأقرع : إنّ لي عشرة من الولد ما قبّلتُ منهم أحداً ، فنظر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليه ثم قال : (من لا يَرحم لا يُرحم) وروى البخاري ـ في الأدب المفرد ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : جاءت امرأة إلى عائشة ـ رضي الله عنها ـ فأعطتها عائشة

ثلاث تمرات ، فأعطت كل صبيّ لها تمرة ، وأمسكت لنفسها تمرة ، فأكل الصبيان التمرتين ونظرا إلى أمهما ، فعمدت الأم إلى التمرة فشقتها ، فأعطت كل صبي نصف تمرة ، فجاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فأخبرته عائشة ، فقال : (وما يعجبك من ذلك ؟ لقد رحمها الله برحمتها صبيَّيها) .

وكان صلى الله عليه وسلم إذا حضر طفلاً يحتضر ، وأوشكت روحه أن تفيض إلى بارئها ، فاضت عيناه بالدمع حزناً ورحمة على الصغار ، فقد ورد في الصحيحين ، عن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ قال : أرسلت بنتُ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أبيها ، إنّ ابني قد احتضر (أي حضرته مقدمات الموت) فاشهدنا ، فأرسل عليه الصلاة والسلام يقرئ السلام ، ويقول : «إنّ لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب» فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينّها ، فقام ومعه سعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبل ، وأبيّ بن كعب ، وزيد ابن ثابت ، ورجال ، رضي الله عنهم ، فرُفع إلى رسول لله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصبي ، فأقعده في حجره ، ونفسه تقعقع (أي تتحرك وتضطرب) ، ففاضت عيناه ، فقال سعد : يارسول الله ما هذا ؟ فقال : «هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عبادة» ، وفي رواية : «جعلها الله في قلوب من شاء من عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء» .

ولا شك أن وجود الرحمة والرأفة في قلوب المربين من أهم العوامل التي تساعدهم على القيام بواجباتهم تجاه تربية الأطفال ، ومع ذلك تجدر الإشارة إلى ضرورة الحرص على تربية الأبناء والقيام بالمسؤولية تجاههم ، مع الحرص على القيام بسائر الواجبات الأخرى ، فكثيراً ما يكون الحب الزائد للأبناء مدخلاً من مداخل التقاعس عن القيام بواجب الجهاد في سبيل الله لتبليغ دعوته ونصرة شريعته ، ولذلك حذَّرنا الله تعالى قائلا : **«قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانُكم وأزواجُكم وعشيرتُكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكنُ ترضونها أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربّصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين»** (التوبة : ٢٤)

٣ ـ العدل في المعاملة

المعاملة في الإسلام أساسها العدل ، يستوى في ذلك الكبار والصغار ، وقد وردت نصوص بصيغة الأمر بالعدل بين الأبناء ، والمساواة بينهم ، وعدم التمييز بينهم في المأكل والملبس والعطاء والمحبة والتقدير ، كما جاء بعضها يصف لنا وقائع حدثت في الماضي وكانت لها آثارها ، وبعضها يصف لنا تصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأذكر فيما يلي طرفاً من هذه النصوص :

ورد في صحيح مسلم ، عن النعمان بن بشير قال : تصدق عليَّ أبي ببعض ماله، فقالت أمي ـ عمرة بنت رواحة ـ : لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق أبي إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليشهده على صدقتي ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أفعلت هذا بولدك كلهم ؟» قال : لا قال : «اتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم» قال : فرجع أبي فرد تلك الصدقة

وفي رواية : قال : لا ، قال : «فلا تشهدني إذن ، فإني لا أشهد على جور» . وفي رواية : «لا تشهدني على جور» . وقد دلت الخبرة ، أن من أهم أسباب العقد النفسية عند الأطفال ، التفضيل بينهم وعدم العدل ، نعم قد يكون في أحد الأطفال خصال تحب ولا توجد عند اخوته ؛ مثل : الذكاء أو خفة «الظل» كما يقولون ، أو أنه يتفوق على أقرانه في الدراسة ، أو أنه يتمتع بما تميل إليه النفس إذا تركت للهوى ؛ كأن يولد صبي بعد عدد كبير من البنات ، أو تكون فتاة شقراء ذات ملامح حسنة وسط عدد من أخواتها ليس لهن هذه الصفات .. الخ كما قد يتمتع أحد الأطفال بخصال يبغضها الوالدان أو أحدهما ، .. الخ هنا نؤكد على ضرورة أن يتحقق العدل في عملية التربية !!! وإلا فقد يتولد عند الطفل الذي لا يعامل بالعدل ، عقدة مركب النقص ، فيشعر أنه ليس إنساناً سوياً ؛ جملة واحدة ، مثل القول : أختك أفضل منك ، أو أخوك أحسن منك ... تكون لها آثارها البعيدة المدى في نفسية هذا الطفل ... ولفترة طويلة من عمره ، وقد تستمر معه طول حياته .

والأطفال يُحسّون ، ليس فقط بعدم المساواة في الماديات ، وإنما يحسون بالتفضيل حتى إذا وقع في بعض الجوانب المعنوية ، كالحب والعطف والحنان ، وهذه الجوانب هي الأكثر تأثيراً في نفسية الطفل ، ولقد أرشدنا الحق سبحانه وتعالى إلى هذه القضية في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ مع اخوته ، فنقل إلينا سبحانه في القرآن على لسان اخوة يوسف : «**إذ قالوا لَيُوسف وأخوه أحبُّ إلى أبينا منّا ونحن عصبةٌ إنّ أبانا لفي ضلال مبين**» (يوسف : ٨) ، وكان من نتائج ذلك ، أن فكروا في التخلص من أخيهم فقالوا : «**اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين * قال قائلٌ منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجبّ يلتقطه بعض السيّارة إن كنتم فاعلين**» (يوسف ٩-١٠) ، ولم يقف الأمر عند حد القول فقط ، وإنما وقع التنفيذ بالفعل ، !!!

أليس في هذا الدرس العظيم ما يحمل المربين على تحقيق العدل بين الأبناء، وخاصة في المراحل الأولى من العمر والتي لم يكتمل فيها التفكير العقلاني إلى حد كبير ؟!

٤ ـ احترام الطفل وملاطفته :

ورد في أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله ما يستفاد منه ضرورة احترام الطفل ، وعدم التقليل من شأنه ، كما ينبغي معاملته بالرأفة واللين ؛ فقد كان صلى الله عليه وسلم إذا مرّ بالصبيان سلم عليهم ، وورد في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم : «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقِّر كبيرنا»[١] وفي الحديث المتفق عليه ، عن أنس رضي الله عنه أنَّه مرَّ على صبيانٍ فَسلّمَ عليهم وقال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفْعَلُهُ» . كما كان صلى الله عليه وسلم يلاطف الأطفال ويمازحهم ليدخل السرور على قلوبهم ، كما كان يهش في وجوههم ، فقد ورد في الحديث : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُدلع لسانه للحسن بن علي ، فيرى الصبي حمرة لسانه ، فيَبهش إليه»[٢] . أي يسرع

وانظر إلى القدوة صلى الله عليه وسلم وهو يعلم الطفل آداب الطعام ؛ فيقول له في حلم ولطف : «أدْنُ يابني ، وسمّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك»[٣] ياله من معلم ينادي الطفل بالنداء المحبب ليشعره بالاحترام والمحبة ثم يعلمه في كلماته هذه الآداب فهل من مقتدٍ بالرسول صلى الله عليه وسلم ؟ يتكلم إلى الأطفال في رأفة وفي غير غلظة ، ويوجز في التعليمات فلا يكثر على الطفل حتى يمكنه الاستيعاب ؟

ويستفاد من هذا الحديث أيضاً أنه على المعلم أن يترفق بالأطفال ، ولا يتشدد معهم ، فمن حسن رعايته لهم أن يكون رفيقاً بهم ، فينزلهم منزلة الأبناء ، وإذا ما أخطأ الصبي ، راضه المعلم مبيناً له الصواب ، فلا يوبخ مباشرة ، وربما يتغاضى عن الخطأ أول مرة ، فإذا كرر الصبي حذره المعلم سراً وليس أمام الآخرين ، فإذا كرر ثالثة (مثلاً) كاشفه المعلم مع التورية ، كأن يقول : إنّ فعل كذا وكذا قبيح، ومن يفعل ذلك يستحق عقوبة كذا وكذا ..

وإذا رجعنا إلى القدوة صلى الله عليه وسلم مرة أخرى وفي واقعة أخرى ، عن أبي هريرة ري الله عنه قال : أخذ الحسن بن علي رضي الله عنه تمرةً من تمْرِ الصدقة فجعلها في فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كخ كخ[٤] ارم بها ، أما علمت أنّا لا نأكلُ الصّدقة ؟!) متفق عليه .

فإننا نرى أنه صلى الله عليه وسلم لم يزجر الصبي وينهاه فقط وإنما بين له لماذا ؟ أي شرح له السبب ،فهل من متعظ ؟

وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الرجل الرحيم الرقيق القلب من أهل الجنة حيث قال : (أهل الجنة ثلاثة) وعدّ منهم «... ورجلٌ رحيم رقيقُ القلب لكلِّ ذي قربى ومسلم» رواه مسلم . ولا شك أن الأطفال يدخلون في تعبير (كل) بل هم من باب الأولى لأنهم في حاجة إلى ذلك لضعفهم !

٥ ـ الشدة مع الطفل ومتى تكون وكيف ؟

بين ابن خلدون في مقدمته أن الشدة على المتعلمين مُضرّة بهم فقال : «إنّ

إرهاق الجسد في التعليم مضر بالمتعلم ، سيما في أصاغر الوُلد ..، ومن كان مُرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم ، سطا به القهر ، وضيق على النفس انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل ، وحمل على الكذب والخبث والتظاهر بغير ما في ضميره ، خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعلّمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقاً ، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن ، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله ، وصار عيالاً على غيره في ذلك ، وكسلت النفس على اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها ، فارتكس وعاد في أسفل سافلين»[٥] .

وقد أورد الإمام ـ النووي رحمه الله ـ في باب : أمر ولاة الأمور بالرفق برعاياهم من كتابه رياض الصالحين ، حديثاً عن عائذ بن عمر رضي الله عنه ، أنه دخل على عبيد الله بن زياد فقال له : أيْ بنيّ إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إنَّ شرَّ الرّعاءِ الحُطمةُ[٦] فإيّاك أن تكونَ منهم» متفق عليه

فإذا كان هذا في شأن الكبار الذين يدركون ، فماذا ينبغي على المربي والمؤدب تجاه الصغار الذين لم يصلوا لمرحلة الإدراك الكامل ؟

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : «ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قطُّ بيده ، ولا امرأةً ولا خادماً ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نِيلَ منه شيءٌ قطّ فينتقم من صاحبه ، إلاّ أن يُنتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم الله تعالى» رواه مسلم

وهنا قد يعترض معترض ويقول : كيف ذلك والرسول نفسه صلى الله عليه وسلم هو الذي قال : «مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع»[٧] ألم يأمرنا أن نضربهم ؟ أليس الضرب مشروعا ؟

نقول : نعم لقد أقر المربون المسلمون مبدأ عقاب الصبيان ، ولكنهم وضعوا

لذلك شروطاً ، ولقد نقل لنا ابن خلدون في مقدمته نقلاً جميلاً قال فيه : «ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين فقال : يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن وعرفه الأخبار ، وروه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه . ولا تمرنّ ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها ، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه. ولا تمعن في مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه. وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة» انتهى[٨] .

وأرجو أن ننتبه إلى ما جاء في نص الحديث (اضربوهم عليها لعشر) لئلا يفهم من ذلك أن الطفل قبل عشر سنوات لا يضرب ؟! وهنا يجب أن ننتبه إلى ما يلي :

١ ـ أن يُتجنّب في الضرب الوجه والرأس والأماكن الحساسة من الجسم ، ويفضل أن يكون الضرب على الرجلين أو اليدين .

٢ ـ أن لا يوقع الضرب إلا عن خطأ تمّ التنبيه عليه أكثر من مرة ، مع التهديد قبله بالعقوبة وبيان نوعها .

٣ ـ أن يكون العقاب على قدر الذنب لا للتشفي ، وأن يستشعر المربي أن الذي أمامه طفل ، وليس رجلاً كبيراً ، يمكن أن يدافع عن نفسه ، أي يستشعر ضعف الطفل .

٤ ـ أن لا يكون الضرب مبرحاً ، في كيفيته أو آلته .

وقد نهى المربون المسلمون عن استخدام اسلوب الحرمان من الطعام والشراب في العقاب ، لما له من أثر على صحة الطفل في هذه المرحلة ، ونهوا المؤدب أو المعلم عن الانتقام في العقاب ، وضرب الصبيان في حالة الغضب ، حتى لا يكون الضرب دون وعي أو وسيلةً لإراحة النفس ...

ولا يمكن لي أن أترك هذه الفقرة دو أن أوجه نصيحة إلى المربين بضرورة

مراعاة ما يلي :

١ ـ الصبر الصبر على الأطفال .

٢ ـ استخدام أسلوب الترغيب والترهيب والتشجيع مع الأطفال

٣ ـ عدم توقع مستوى مرتفع في سلوك الأطفال .

٤ ـ فهم شعور الطفل ووجهة نظره ، وإعطاؤه فرصة للتعبير عن ذلك .

٥ ـ عدم جعل المشكلات الشخصية التي لم تحل بعد تؤثر على نوع معاملة الطفل .

والله أسأل أن يعين المربين على القيام بواجباتهم تجاه الأطفال .

---

(١) حديث صحيح رواه الترمذي ، وأخرجه الشيخ ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة

(٢) رواه بن حبان في كتاب «أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه» وقال الشيخ ناصر في سلسلة الأحاديث الصحيحة سنده حسن .

(٣) أخرجه الترمذي وأحمد ، وقال الشيخ ناصر في سلسلة الصحيحة سنده صحيح .

(٤) كلمة زجر ونهي ، وما زالت مستعملة حتى الآن في نهي الأطفال ، وضبطها ابن الاثير بفتح الكاف وكسرها

(٥) مقدمة ابن خلدون ، كتاب الشعب ، طبعة دار الشعب بمصر ، ص ٥٠٨

(٦) الرعاء : جمع راع . والحطمة : العنف برعاية الأبل ، ضربه صلى الله عليه وسلم مثلاً لوالي السوء ، أي القاسي الذي يظلمهم ولا يرق لهم ولا يرحمهم

(٧) الحديث رواه ابو داود وقال الشيخ ناصر ، اسناده حسن

(٨) مقدمة ابن خلدون . ص ٥٠٨ و ٥٠٩

الفصل الثاني :

دار الحضانة ودورها في حياة الطفل

سبقت الإشارة ـ في الفصل الثاني من الباب الثاني ـ إلى أن : دار الحضانة مدرسة ينشأ فيها صغار الأطفال .

ولقد دلت التجارب العملية في ميدان التعليم والتربية في سن الحضانة على أن : دار الحضانة لابد أن تكون «محضناً» بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وبحيث يستمتع الطفل فيها بما يلي :

- الألعاب الذهنية والبدنية المختلفة والمناسبة
- الاستماع إلى الأناشيد الإسلامية والتدريب على حفظ بعضها وفق مناهج تتناسب وأعمار الأطفال[1] .
- التوجيه السديد عن طريق منهج تربوي صالح
- إتاحة الفرصة لانطلاق الأطفال في الحدائق العامة والهواء الطلق ما أمكن .

كما أصبحت لدور الحضانة في المجتمعات المعاصرة أهمية كبيرة في تربية الأطفال ، فهي تقوم بدور مكمل للبيت في تكوين شخصية الطفل وتنمية طاقاته وقدراته التعليمية المستقبلية .. ولذا فإن الاتجاه العام في جميع البلدان الأوروبية ـ مع تفاوتها في بروز هذا الاتجاه وانطلاقها من نقاط بداية مختلفة ـ هو نحو تعميم مدرسة الحضانة كجزء أساسي من الخبرة التربوية لكافة الأطفال[2] ..

ودون التفصيل يمكن لفت النظر إلى مسميات بعض المؤسسات في الغرب ، والتي لها دورها الكبير في صياغة وتشكيل عقلية الطفل ونفسيته في سن الحضانة: «Crèches» روضة الحضانة وهدفها رعاية الأطفال في أوقات غياب الأمهات ؛ «Kindergarten» روضة الأطفال أو «play-grups» مجموعات اللعب وهدفها مجرد تطبيع الأطفال اجتماعياً وتطوير قدراتهم الحسية والحركية من

خلال اللعب ؛ «Vorschulkindergarten» روضة الأطفال للتمهيد للمدرسة الابتدائية وهدفها إعداد الأطفال لدخول المدرسة الإجبارية الابتدائية ، وتهتم بتطوير القدرات اللغوية والحسابية للأطفال ..

وسوف أعالج في هذا الفصل دور الحضانة من وجهة النظر الإسلامية من خلال: ملاحظات عامة ، والمبنى والإدارة للدار ، وأخيرا الإشارة إلى أهمية تحديد منهج العمل على النحو التالي :

أولا : ملاحظات عامة

١ ـ لا تكتسب دار الحضانة الصفة الإسلامية إلا إذا كانت الدار في بنائها وجهازها الإداري ومناهجها وطرق العمل فيها صادرة عن الإسلام وقائمة على أسسه ومبادئه ..

٢ ـ دار الحضانة ليست هي المؤسسة الوحيدة التي تقوم على تربية الطفل في سن الحضانة ، وإنما هي وسيلة تتكامل مع الوسائل الأخرى ، فلابد من تضافر الجهود في هذه المؤسسات والتعاون والتكامل ، وفي مقدمة المؤسسات الأخرى مؤسسة البيت ..

٣ ـ الأفكار المعروضة في هذا الفصل قابلة للتطبيق في حالة وجود طفل واحد أو أكثر ، ويمكن أن تطبق من قبل الوالدين أو أحدهما ، أو من قبل المربي أو المربية في دار الحضانة أو خارجها ..

٤ ـ من الخطأ أن تعتقد الأم أنها حين ترسل الصغير إلى دار الحضانة ، فهي تتخلص من الإزعاج الذي يمكن أن يسببه الطفل في البيت ، ويتوفر لها الوقت الكافي بحيث تتفرغ لنفسها للاستمتاع بالوقت مع الصديقات والجيران ، أو تعتقد بأن الطفل سيتعلم في دار الحضانة ما كان ينبغي أن تقوم هي بتعليمه ، فالدار عملها تكميلي لعمل الأم وليس بديلاً نهائياً لما يجب أن تقوم به الأم ..

٥ ـ نظراً لأن الحياة الواقعية مشاهدة وحركة وتجارب ، فإن نقل الطفل إلى جنبات الحياة ، أو نقل جانب من الحياة إليه وسيلة ناجحة من وسائل التربية ،

فتربية المعلبات بالحبس بين أربعة جدران أو التقيد بسطور الكتب ليست هي الوسيلة الفعالة في التربية .. فكلما وقعت حواس الصغير على مزيد من المشاهد، ولمست كثيرا من الحقائق الواقعية والمدركات ، كلما كان ذلك أبلغ في التعليم وله آثاره التربوية العميقة . وعليه فينبغي أن يكلف الصغير بممارسة السلوك الاجتماعي السليم ، والتعبيرات المهذبة ممارسة عملية ، بأن توجه المربية الأطفال إلى القيام ببعض الأدوار التمثيلية للقصص التي تعرفوا إليها .. أو تكليفهم بتمثيل أدوار من واقع الحياة اليومية بأن تطلب إلى كل طفل أن يخرج على باب الغرفة ويطلب الإذن بالدخول ، وعند دخوله يلقي السلام على الجالسين، ويرد من في الغرفة السلام .. ثم تسأله المربية عن اسمه وسكنه وكيف وصل إلى الدار وغير ذلك من الأسئلة السهلة ذات الأهداف التربوية ، وتقوم هي بالتصويب والتوجيه .. فيمارس الصغير من البداية السلوك المهذب ، ويعتاد استخدام التعبير المناسب ..

٦ ـ إذا كان لأوروبا بقسميها ـ الرأسمالي والاشتراكي ـ أن تفتخر بأعلام من أعلام التربية من بنيها ، من أمثال : «جان جاك روسو» و «جون ديوى» و «منستورى» وغيرهم .. فإن الدنيا لها أن تذكُر بكل خير علماء أفذاذاً في مجالات التربية من أمثال : «ابن خلدون» و «الغزالي» و «الماوردي» و «الشاطبي» و «القابسي» و «محمد إقبال» وغيرهم ممن تربوا في محاضن إسلامية ، ولا يمكن للدنيا أن تنسى مدرسة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحب الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ ، فإن أعظم عملية تربوية عرفها التاريخ ، هي العملية التربوية التي قام بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، حيث نقل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من كفر إلى إيمان ، ومن شرك إلى توحيد ، وليس هذا فقط ، وإنما رفعهم إلى أعلى مستوى يمكن أن يصل إليه البشر ، حتى قال عنهم الخالق سبحانه ـ : «**كنتم خير أمّةٍ أخرجت للنّاس**» (آل عمران : ١١٠) ، ولسائل أن يقول : ما هو محور هذه العملية التربوية ؟ وما الذي تغير ؟ فإنه يمكن الإجابة بكل بساطة ؛ كان محور

هذه العملية التربوية : الإسلام ـ رسالة الله تعالى الخالدة ـ ، ومن قبلوا هذا الدين وسعوا إلى تطبيقه في الحياة ، فإذا علمنا أن الرسالة باقية كما هي ، فقد تكفل الله تعالى بحفظها فقال : **«إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون»** (الحجر : ٩) ، فيكون الذي تغير هو أحوال الذين يحملون الرسالة ، فلم يعد لها من يحملها على المستوى المطلوب وبالعدد الكافي ..

٧ ـ إن كثيراً من الدراسات عن المحرومين الذين يطالب المربون من أجلهم بتربية تعويضية فيما قبل المدرسة الابتدائية ، قد كشفت عن الدور الذي يمكن أن تقوم به الأسرة المعلِّمة ، ويبدو بصورة خاصة أن هناك عددا من التجارب ، تتفاوت في مدى نجاحها ، تجرى في الولايات المتحدة وبريطانيا على مناهج تعويضية ، شاركت فيها الأمهات عن طريق تعليمهن أنسب الطرق في تربية أطفالهن قبل المدرسة ، حتى أنه اقترح بالنسبة لمراكز المدن حيث ترتفع تكاليف الأبنية المخصصة لتربية ما قبل المدرسة الابتدائية ، أنه ربما كان من الأرخص تدريب الأمهات ودفع الأجور لهن لتعليم أطفالهن في المنازل بدلا من إنشاء دور حضانة رسمية[٣]

٨ ـ إن تطبيق أي منهج تربوي يحتاج إلى مربين ومربيات ، ومهمة المربي أو المربية ـ أبا أو أماً ، معلما أو معلمة ـ في هذه المرحلة من عمر الطفل أكثر حساسية من أي مرحلة تالية ، فلا بد أن يتمتع كل منهما بما يلي :

أ ـ استيعاب المادة التعليمية التي يراد نقلها إلى الصغار ، بحيث يمكن تقديمها بلغة سهلة واضحة ومفهومة ، والتأكد بعد تقديمها من أن الصغار قد استوعبوا ..

ب ـ القدرة على استعمال وسائل الإيضاح التي تساعد في توصيل المادة التعليمية وتثبيت المعلومات ..

جـ ـ الرحمة بالصغار والعطف عليهم واحترام شخصية كل منهم ، فالصغير حين يذهب إلى دار الحضانة يبتعد عن حنان الأم وعطفها ، فإذا وجد البديل عن

ذلك في دار الحضانة فرح وحرص على الحضور إليها بشوق وارتياح ، وأما إذا لم يجد البديل ، أصبحت الدار بالنسبة إليه كالسجن مع سعتها ، ولعل هذا هو الذي دفع السيدة «نيكر» إلى القول : «إن روضة الأطفال تحتاج إلى مرونة المرأة الصالحة وعطفها لكي تسير مع هذه المخلوقات ، وينبغي أن تحبهم لكي تفهم نفسيتهم . والنجاح في الروضة يتم بواسطة العاطفة القلبية أكثر من تفكير العقل»[٤] ، وبالرجوع إلى الإسلام العظيم نجد أنه قد سبق النظم الحديثة في التربية إلى بيان هذه الحقيقة من قرون ، ويمكن للقارئ الكريم أن يراجع ما كتب عن هذا الموضوع في الفصل السابق .

ثانيا : مبنى دار الحضانة وإدارتها

ليست دار الحضانة مجرد بناء يشترى أو يستأجر ، أو حجرات تؤثث وتنظم . ولكنها مكان له خصائصه ومميزاته ، وله إدارته التي تسهر على أن يكون المكان واحة أمن وطمأنينة ، بحيث ترتاح له نفس الطفل ويشعر بالأمان والسرور فيه[٥] ، فيحسن أن يراعى في المكان ومحتوياته ما يلي :

١ ـ إمكانات وفرص مزاولة أنواع مختلفة من اللعب : فنظرا لأهمية اللعب في هذه المرحلة من مراحل عمر الطفل ـ كما سيأتي فيما بعد ـ ، فقد أصبح أسلوبا من أساليب التربية وليست وسيلة تسلية وترفيه فحسب ، وهو سلوك حياتي هادف يتناول التأثير على نمو الإدراك عند الطفل ، كما يؤثر في جسمه ووجدانه ، ولتمكين الأطفال من ذلك ينبغي توفير ما يلي :[٦] .

أ ـ أحواض من الرمل الناعم النظيف ليلعب فيها الأطفال

ب ـ كمية من مادة «الصلصال» والمعجون الطري التي تستخدم ، في كثير من الأغراض مثل :

- تنمية عضلات الأصابع
- التدريب على عمل أشكال مختلفة ..
- اكتساب الطفل خبرات في مجال تشكيل حروف اللغة وأرقام الحساب

حين يبلغ مستوى ذلك

جـ ـ ألعاب التركيب المختلفة الأشكال والأحجام

د ـ أراجيح مختلفة وزلاقات ... الخ

هـ ـ ألوان مختلفة الأشكال بحيث لا تكون من الأنواع التي تلوث الملابس ، واتخاذ التدابير المختلفة عند وجود الأنواع الأخيرة من الألوان .

و ـ حوض للماء غير عميق ليلعب فيه الأطفال دون أن يَغْرَق الطفل

ز ـ حبال مختلفة الأطوال للعب بها ولاستخدامها في تشكيل أشكال مختلفة على الأرض منها وعقدها وحل العقد ..

ح ـ ألعاب جماعية مختلفة لتعويد الأطفال على التركيز ، أو تنمية الذكاء ، فضلا عن تعويد الطفل على الاندماج ضمن مجموعة ، وتعلم التعامل مع الآخرين

ط ـ ألواح كرتونية صغيرة أو خشبية صغيرة خفيفة يبني بها الأطفال البيوت والأكواخ وغير ذلك ..

٢ ـ الجمال والزينة في الدار وملحقاتها : فقد نصح المربون بتوفر ذلك في البناء والغرف ، وذلك في حدود ما يسمح به الشرع الإسلامي ، فذلك يساعد على تنمية ذوق الصغار ويوحي إلى نفوسهم السكينة وحب الخير ، كما يساعد ذلك على دعوة الطفل إلى التزين والتجمل بما هو مسموح ، والله تعالى يلفتنا إلى هذا الأمر في القرآن فيقول : **«قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطّيبات من الرزق»** (الأعراف : ٣٢) . ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : «إن الله تعالى جميل يحب الجمال ويحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها»[٧] ويمكن تحقيق ذلك من خلال توفير باقات من أنواع الزهور المختلفة الطبيعية ، وأخرى من البلاستيك، إلى جانب لوحات فنية لمناظر كونية جميلة في حدود ما يسمح به الشرع الإسلامي ، وأخرى لمناظر عدد من المساجد والمعالم الإسلامية الأثرية ، وثالثة لعدد من الخطوط العربية التي كتبت بها آيات من القرآن وأحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

٣ ـ تربية الحيوانات وملاحظتها ، ففي ذلك متعة للصغير ويقوي الملاحظة عنده ، فضلاً عن إزالة حاجز الخوف من مثل هذه الحيوانات ، وطبيعي أنها حيوانات بيتية أليفة مثل الأرنب والعصفور والدجاجة .. الخ ، وقد ورد في السنة ما يبيح ذلك ، فعن التيّاح قال : سمعت أنس بن مالك يقول : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير : «يا أبا عُمَيْر ! ما فعل النُّغَيْر؟»[٨] قال وكيع : يعني طيرا كان يلعب به .

ويمكن توفير أعداد من الحيوانات الأخرى الكبيرة الحجم وغير الأليفة ولكن من البلاستيك أو الخشب أو ما شابه ذلك ليلعب بها الأطفال ويعتادوا على أشكالها ..

٤ ـ الرسم والأشغال اليدوية ووسائل الإيضاح من أفلام تصويرية وما شابه ذلك، وهذه الأشياء ضرورية جداً في دور الحضانة ، لتنمية حواس الطفل وتقوية ملاحظته ونقل كثير من المعلومات إليه بصورة سهلة ، ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : خط النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطا مربعاً ، وخطَّ خطًّا في الوسط خارجاً منه ، وخطَّ خُطُطا صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط ، فقال : «هذا الإنسانُ ، وهذا أجلُهُ محيط به ، وهذا الذي هو خارجٌ أملُهُ ، وهذه الخُطُطُ الصَّغارُ الأغراض : فإن أخطأهُ هذا نهشه هذا ، وإن أخطأه هذا نهشه هذا» ، وفي رواية أنس ـ رضي الله عنه ـ عن البخاري أيضاً قال : خط النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خُطوطاً فقال : «هذا الإنسان ، وهذا أجلُهُ . فبينما هو كذلك إذ جاء الخط الأقربُ» ويمكن أن تكون هذه صورته

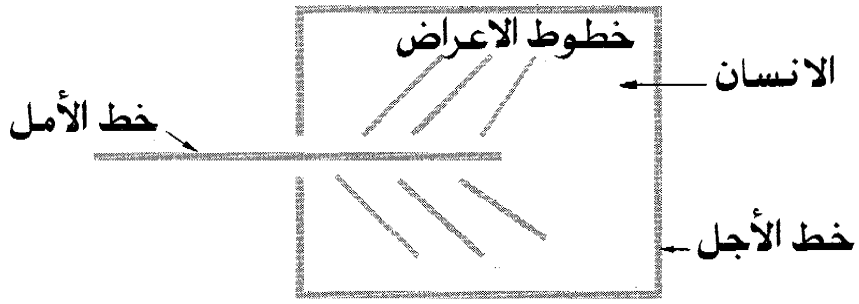

وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : كنّا جلوساً عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخط خطاً هكذا أمامه فقال : «هذا سبيل الله» وخط خطين عن يمينه وخطين عن شماله ، وقال : هذه سبل الشيطان» ثم وضع يده ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الخط الأوسط ، ثم تلا هذه الآية : **«وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ، ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ، ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون»**[٩] .

ويمكن أن يكون الرسم هكذا

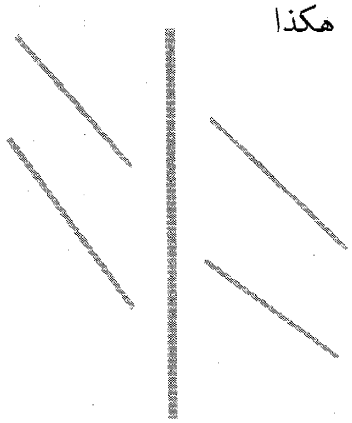

وهكذا مثل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كبريات القضايا المعنوية بوسائل حسية .

كما يمكن الاستفادة ما سماه الأستاذ الباني بـ «الفلم القرآني» ، والذي يقصد به جنس معين من الأفلام له مواصفاته المحددة وشروطه وضوابطه ، ويشمل مجموعة من الأفلام بنوعيها (الثابتة) و (المتحركة) التي تضم الصورة والكلمة والحركة أيضاً .

فهو فلم تصويري ناطق تعليمي هادف ، وله غرضان أساسيان :

الأول : تدعيم قضية الإيمان بالله وصفاته وأسمائه الحسنى وفق المنهج القرآني

الثاني : تعليم الحقائق العلمية التجريبية وغيرها مما يتصل بها وفق المنطلق القرآني . أي تقديم الحقيقة العلمية غير منفصلة ـ ما أمكن ـ عن دلالاتها الإيمانية وكونها آية من آيات الله ، أو سنة من سنن الله ، أو نعمة من نعم الله ..»[١٠]

ومن المفيد أيضاً استعمال أدوات صوتية بحيث يُعوّد الطفل على التمييز بين الأصوات المختلفة ..

أما توفير أوراق ملونة مقصوصة بأشكال مختلفة أو قابلة للقص ، فهو يمكن الأطفال بإشراف المربية من تشكيل أشكال مختلفة .

٥ ـ مكان للراحة وإقامة الصلاة ، من المفيد للأطفال أن يفرش مكان أو غرفة بحيث إذا تعب أحد الأطفال أو عدد منهم فإنهم يذهبون إليه للراحة ، وكذلك وجود شريط مسجل عليه الآذان ، بحيث يذاع عند كل وقت من أوقات الصلاة ، وذلك إذا لم تكن دار الحضانة قريبة من مسجد يرفع فيه الآذان ويسمع بوضوح، وعلى المربية أن تلفت نظر الأطفال عند سماع صوت المؤذن .. ثم تذهب بالأطفال إلى مكان الصلاة فيصلي معها من تعلم الصلاة وينطر إليهم من لم يتعلم بعد ..

ثالثا : منهج العمل في دار الحضانة

يعتمد منهج العمل في دار الحضانة على تحديد الأهداف وصياغتها صياغة دقيقة ، لأنها هي التي تمثل الخطوة الأولى نحو وضع تخطيط متكامل ، فوضوح الأهداف هو المنطلق الصحيح للتخطيط بالنسبة لأي عمل تربوي ناجح ، حيث تحدد الأهداف الوجهة .. وبعد إقرارها تصبح حافزاً للعمل ، فإذا تحددت الأهداف طرح السؤال : كيف نحقق هذه الأهداف ؟ تبينت الوسائل وتم تحديدها ..

وللأهداف التربوية عموما وظائف على درجة عالية من الأهمية حددها بعض الخبراء فيما يلي :[١١]

١ ـ أنها تمهد السبل نحو اختيار محتوى الخبرات التعليمية

٢ ـ أنها تقدم مستويات لما يُعلّم وكيف يُعلَّم ؟

٣ ـ أنها تساعد في دعم الفلسفة التربوية ، بل وفلسفة المجتمع نفسه .

٤ ـ أنها تساعد في تحديد أوجه النشاط المعينة في عملية التعليم

فإذا انطلقنا من الإسلام واستفدنا من التجارب السابقة ، يمكننا القول : بأن

من الأهداف الهامة لدار الحضانة ما يلي [١٢] :

١ ـ مساعدة الطفل على أن يتعرف على البيئة المحيطة به ، وأن يتفاعل معها ، حتى يمكنه أن يشق طريقه في الحياة .

٢ ـ تنمية المبادرة الذاتية عند الطفل ، وتشجيعه على التفكير الذاتي ..

٣ ـ حماية وتطوير تفكير الطفل في مجالات القيام بتجارب شخصية ، بحيث لا ينتج عنها ضرر له أو لغيره .

٤ ـ تقديم فرص مختلفة لاندماج الطفل في جماعة وتعويده على إنشاء شبكة علاقات اجتماعية مع الآخرين ، وتدريبه على حسن التعامل مع سواه ، ومعايشة المشكلات الناتجة عن ذلك ، وتحديد دوره وما يمكن أن يقوم به داخل الجماعة ، واستعداده لقبول الآخرين والاستفادة من تجاربهم ، وإفادتهم بتجاربه الذاتية ، فيتعود الطفل من خلال ذلك على عادات وخبرات ومواقف نافعة ومفيدة ..

٥ ـ تعويد الطفل على النطق الصحيح ، والعمل على زيادة ما لديه من حصيلة الألفاظ والعبارات ..

٦ ـ تدريب الطفل وتعويده على مسك القلم ..

٧ـ تقوية ذاكرة الطفل وإكسابه القدرة على التنبه والتفكير والتركيز ..

ويمكن للقارئ الكريم أن يستفيد من دليل المربين الذي أعده الأستاذ يوسف العظم ، والذي أنقل منه هنا على سبيل المثال دليل المربين لتحقيق الهدف الأخير (رقم ٧) عاليه[١٣] :

أ ـ هدف هذا الموضوع :

هدف هذا الموضوع واضح من عنوانه إذ تعمل المربية عبر خطوات التطبيق على تقوية ذاكرة الطفل بحيث تستوعب الكثير مما يحيط به من أشكال وألوان وأصوات وكلمات وأفراد وموضوعات .

وتبذل المربية من الجهد وتجري من التدريبات ما تعمل به على إكساب الطفل القدرة على التنبه ثم القدرة على التفكير فيما تنبه له ثم القدرة على

التركيز فيما فكر فيه ليصبح إنسانا مستوعبا لما حوله واعيا ما يحيط به قادراً على فهم جوانب من الحياة وحل كثير من المشكلات التي تعترضه .

الوسائل المعينة

١ ـ اللوح وكل ووسائل الرسم والتلوين .

٢ ـ الصور الكثيرة .

٣ ـ الأسطوانات والأشرطة المسجلة .

٤ ـ عدد من الأدوات التي تحدث أصواتاً مختلفة .

الخطوات وأسلوب التطبيق

● تقوم المربية برسم زهرة مثلاً ثم تمسحها وتسأل الأطفال عما كان مرسوما على اللوح لتذكره ومعرفته ، وتعود لرسم أشكال مختلفة وصور عديدة وفي كل مرة تمسح الصور وتسأل الأطفال عما كان مرسوما وهم يحاولون تذكره .

● تقوم المربية برسم أشكال بسيطة مفككة على اللوح كأن ترسم جسم هاتف وسماعة هاتف بعيدة عنه ثم إناء زهور وزهوراً مبعثرة وحقيبة وكتاباً في جانب من اللوح وسيارة بسيطة وإطار سيارة منتزعاً منها موضوعاً في جهة أخرى ثم تطلب من الصغار أن يضعوا كل جزء من الرسم في موضعه الملائم . وهكذا .....

● وكلما أكثرت المربية من تكرار مثل هذا التمرين أسهمت في تركيز «الانتباه» لدى الطفل وتقوية ذاكرته .

● وتقوم المربية بإحداث أصوات مختلفة نتيجة لتصادم أو احتكاك كتل معينة كالخشب والحديد والنحاس وغير ذلك ثم تطلب من الأطفال تمييز الأصوات ومعرفة مصدرها دون النظر إلى الأجسام التي سببت حدوث الصوت .

● تعرض المربية صورة كبيرة تشتمل على أشياء كثيرة كالأشجار والعصافير والأزهار أو الشوارع والسيارات والحوانيت ثم تسأل الصغار واحداً واحداً أن يدلوها على محتويات الصورة جزءاً جزءاً وفرداً فرداً. كالعصفور والزهرة والشجرة وينبوع الماء أو السيارة والنافذة والباب والمرأة أو الرجل أو الطفل في الطريق ، ذلك أن مثل هذا التمرين

ينبه الأطفال إلى التركيز ودقة الملاحظة ويثير فيهم الرغبة في معرفة الأشياء.

● تفاجئ المربية الصغار بسؤال عن الصوت الذي سمعوه خارج الحجرة عند مرور طائرة في الجو أو عند سماع صفير القطار أو دوي عجلات سيارة أو صوت طفل أو بائع ينادي وما إلى ذلك لترى من يستطيع التنبه لما يحيط به ويحدث حوله .

● تفاجئ المربية الصغار بالتوقف عند مقطع من النشيد أو فقرة من الدرس لتسأل أحدهم أين وصلت ؟ .. وتكرر مثل ذلك مع عدد من الصغار حتى يتابعوها في القراءة والإنشاد وهم مصغون لها مستمتعون بما تقول .

● تدير المربية أسطوانة مثلا ليسمع الأطفال إلى مقطع من نشيد ثم توقف النشيد لتسألهم ماذا يقول المنشد وإلى أين وصل . **وهكذا .....**

---

(١) يستعان بما أورده الأستاذ / يوسف العظم في كتابيه «أناشيد وأغاريد» و «براعم الإسلام ـ القسم الأول» ، المكتب الإسلامي .

(٢) الأستاذان بيترسون وهولز ، تعليم الناشئة في أوروبا ، ترجمة حسن جميل طه ، ومراجعة يوسف عبد المعطي ، دار البحوث العلمية ، الكويت سنة ١٩٧٦ م ، ص ٣٠

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) الأستاذ محمود مهدي الإستانبولي ، رياض الأطفال وطريقة إعدادها وتنظيمها ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، سنة ١٩٨٥ م ، ص ٣٢ .

(٥) Kindergarten (Herg.l) Ministerium für Arbeit, Gesundheit und Soziales des Landes NRW, 4 Düsseldorf, Horionplatz 1.

(٦) المرجع السابق والأسبق ، ويضاف إليهما كتاب الأستاذ يوسف العظم ، «براعم الإسلام ـ القسم الثاني» ، المكتب الإسلامي ، ص ٦٥ وما بعدها

(٧) صحيح الجامع الصغير وزيادته ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، حديث رقم ١٧٤٠ .

(٨) رواه البخاري ومسلم

(٩) الآية رقم ١٥٣ من سورة الأنعام ، والحديث رواه الامام أحمد في مسنده ، وأخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود بنحو هذا اللفظ ، وصححه .

(١٠) الفيلم القرآني ، للأستاذ عبد الرحمن الباني ، المكتب الإسلامي ، ص ١٥ .

(١١) الأستاذان / محمد مجاور وفتحي الديب ، المنهج المدرسي وتطبيقاته ، دار القلم ، الكويت سنة ١٩٧٦ م ص ٢٣ و ٢٤

(١٢) أ ـ الأستاذ يوسف العظم ، «براعم الإسلام ـ القسم الثاني» ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ، سنة ١٩٨٠ م ص ٦٩ وما بعدها . ب ـ Kindergarten, siehe Nr. 5.

(١٣) المرجع السابق باسم الأستاذ يوسف العظم ، ص ٧٦ ـ ٧٨ .

الفصل الثالث :

تنمية عادة القراءة عند الطفل

إن الذي أرمي إليه من هذا الموضوع هو : أن نتعرف إلى الوسائل والسبل التي يمكن عن طريقها تنمية عادة القراءة عند الطفل ، مع الاستيعاب السريع فالذي يقرأ بسرعة مع استيعاب ما قرأ ، أفضل في إنتاجه وحياته من غيره الذي لا يحسن القراءة السريعة مع الاستيعاب ،

كما أن القراءة أساس التعلم بمعناه المعروف ، وأداة هامة في اكتساب المعرفة ، إن لم تكن أهم الأدوات ، فالشخص القادر على القراءة ، قادر على النمو والاستمرار فيه ، وتأمل قول الله تعالى : **«والله أخرجكم من بطون أمّهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلّكم تشكرون»** النحل :٧٨ أي جعل لكم الحواس سبيلاً لاكتساب المعرفة وتنميتها ...

والطفل ـ في عصرنا هذا ـ يتعلم القراءة منذ مرحلة الطفولة الأولى ـ أي بعد الولادة وقبل بلوغ السابعة ـ ولكنه لا يتعلمها في السنة الأولى ، وإنما يستعد لها ، فكما أن الطفل لا يمكن أن يكون سريع الجري إلا إذا تعلم الجري ، ولا يجري إلا إذا تعلم المشي ، ولا يمشي إلا إذا استعد لذلك ، فإنه لا يكون قارئاً سريعاً إلا إذا تعلم القراءة السريعة ، ولا يتعلمها إلا إذا تعلم القراءة ، ولا يتعلم القراءة إلا إذا استعد لذلك .

ومن هنا كان الاهتمام ضرورياً بتعليم الأطفال القراءة من ابتداء مراحل العمر، حتى ينشأ الطفل محباً لها ، ومستشرفاً للمداومة عليها وتنميتها بعد تعلمها، بحيث لا يبلغ الطفل سن السادسة ـ أو السابعة ـ إلا وقد اكتسب خبرات متنوعة في علاقته مع الكتب والمطبوعات المختلفة ، فتجتهد الأسرة في البيت من وقت مبكر مع الطفل ، ولا يترك ذلك حتى يدخل الطفل إلى روضة الأطفال أو المدرسة .

١ ـ القراءة بالقوة والقراءة بالفعل

خلق الله تعالى الإنسان السوي قارئاً بالقوة ، أي خلق له الأسباب التي تمكنه من القراءة ، ومهمة المربي ، أن يحول القراءة الكامنة في الطفل من خلال الأسباب والوسائل إلى قراءة بالفعل ، ومعنى ذلك أنه على المربين أن يأخذوا بأيدي الأطفال لتعليمهم القراءة والكتابة ...

ولقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث هذه الحقيقة فقال : «إنّما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلّم ، ومن يتحرّ الخيرَ يُعطه ، ومن يتوقّ الشر يُوقه»[1] فالعلم كامن وموجود ومهمة المربي (الوالدين أو المؤدب أو المعلم ..) هي : تحويل ما هو موجود وكامن بالقوة ، إلى ما هو كائن بالفعل باستخدام الوسائل التربوية الفاعلة وفق منهج يتوافق وعمر الطفل .

وهنا نلفت النظر إلى ملاحظتين :

الأولى : لا ينبغي أن تترك مهمة تعليم الأطفال القراءة والكتابة للمدرسة فقط، وإنما ينبغي أن يقوم البيت بالدور الكبير في هذه المهمة وخاصة في السنوات الأولى من عمر الطفل .

الثانية : أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن الطفل يرث من والديه الدين فقال في الحديث الصحيح : «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه» صحيح البخاري ، ومن خلال التجربة تبين أن الطفل يرث من الوالدين نمط التفكير ولغة التخاطب ، وبصفة خاصة لغة الأم ، وعلينا أن ننتبه إلى تلك المقدرة العجيبة التي لدى الأطفال في تعلم لغة الوالدين ، فالطفل لا يتعلم اللغة فقط ، وإنما يتعلم معها طريقة النطق بالحروف ، ولهجة الحديث ، فيستطيع السامع للطفل حين يتكلم أن يميز الفوارق في طريقة النطق بالكلام ومخارج الحروف ، فيقول هذا من بلاد المشرق العربي أو المغرب العربي ، بل وأحياناً داخل البلد الواحد تميز لهجة الكلام ، فتقول هذا الطفل من شمال مصر أو من صعيدها ...

وبناءً عليه ، إذا أردنا أن يتعلم أبناؤنا العربية ، فلا بد أن تبدأ عملية التعليم في البيت وفي السنوات الأولى من عمر الطفل .

٢ ـ تربية العادة أو الخلق :

ترتكز عملية العادة أو الخلق على ركيزتين هما :

أ ـ المبدأ أو النظرية

ب ـ التجسيد أو التطبيق لهذا المبدأ أو هذه النظرية

ولقد أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال قوله وفعله ومن خلال تربيته لأصحابه إلى ضرورة اقتران المبدأ بالتجسيد ، وهذا كما مر معنا سابقاً في الحديث : «إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم» وفي قوله صلى الله عليه وسلم : «علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعاً ، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشْراً ، وفرقوا بينهم في المضاجع»(٢)

وهذا يعكس لنا تلك الحقيقة التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تَقْدُمُه (أي تتقدمه) سورة البقرة وآل عمران ، تُحاجَّان عن صاحبهما» أي تجادلان عن صاحبهما وهو التالي لهما العامل بهما .

ويبين لنا كيف كان أصحاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورضي الله عنهم يتخذون مواقفهم ، فعن أبي حفص عمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم (أي ولد زوجته أم سلمة رضي الله عنها) قال : كنت غلاماً في حجر النبي صلى الله عليه وسلم (أي في كنفه ورعايته) وكانت يدي تطيش في الصّحْفَةِ ؛ فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا غلام سمِّ الله تعالى وكل بيمينك وكُلْ ممّا يليك» فما زالت تلك طعمتي (أي صفة أكلي) بعد . متفق عليه ، وتطيش : تدور .

وعليه فلا يكفي أن نقول ونكتب عن ضرورة وأهمية تعليم الأطفال القراءة والكتابة ، وضرورة تعليمهم لغة القرآن وإنما يجب أن نتخذ من ذلك موقفاً بالفعل، فنقوم بتعليم الأولاد اللغة العربية بالفعل ، إن كنا نريد لأطفالنا الخير في دنياهم وآخرتهم على السواء .

ولا تتربى العادة إلا إذا مارس الطفل فعلاً وتمرن على ذلك .

٣ ـ سلوك الأطفال تجاه الكتب

ينقسم سلوك الأطفال نحو الكتب في مرحلة ما قبل القراءة إلى أقسام منها :

(١) التناول باليد ووضعها في الفم

في العام الأول من حياة الطفل عادة ، يظهر الصغير اهتماماً عابراً بالكتب ، فهو في هذه السنّ ينظر إلى الكتب نظرته إلى الأشياء التي حوله ، فهو قد : يضع الكتاب في فمه إن تمكن من ذلك ، أو يلعب به بيده ، ويسقطه على الأرض ، ويقطع الورق إن كان سهل التقطيع ، وربما ينتبه إلى صوت الورق إذا تحرك فيصغى إليه ، ويتأمل ما يحدث لقطعة الورق عندما يضغط عليها بيديه الصغيرتين، ويحسن إتاحة الفرصة للطفل ، حتى يكتسب خبرة أولية بعالم الورق والكتب ، بأن نضع بين يديه أوراقاً من مجلات أو صحف قديمة ، بحيث لا يكون فيها ما يؤذيه إذا وضعها في فيه ..

(٢) الإشارة إلى الصور

في العام الثاني من عمر الطفل عادة ينشأ لدى الصغير اهتمام بالصور التي في الكتب ، فينبغي على الحاضنة أن تقوم بدورها في هذه المرحلة ـ وهو دور رئيسي ـ ، فتعمل على تقليب صفحات الكتاب وتتيح للطفل فرصة النظر إلى الصور ، وحبذا لو كانت هذه الصور لها علاقة بالجو والبيئة المحيطة بالطفل ، كأن تكون صورة الملعقة التي يأكل بها والكأس الذي يشرب منه والمقعد الذي يجلس

عليه ، والسرير الذي ينام عليه ... أو صور بعض الحيوانات المألوفة والتي يراها الطفل ... أو صور المركبات التي توجد في الشارع ... إلخ .

وقد يهتم الطفل هو بنفسه بعد فترة بعملية تقليب صفحات الكتاب صفحة بعد أخرى ، ولكنه قد يعود الى عملية التمزيق للكتاب والاستمتاع بسماع صوت الأوراق وهي تمزق ...

ولكنه سوف يستمتع أيضا بالتطلع إلى تلك الصور ، ويربطها بخبراته القليلة التي اكتسبها ، فالملعقة قد يطلق عليها اللفظ الذي يستخدمه في الإشارة إلى الطعام ، مثل «مم» والقطة قد يسميها «بِسْ» ، وذلك عندما يصل إلى السن التي يستطيع فيها نطق تلك المقاطع ...

وسيتذوق الطفل أي صوت تحدثه الحاضنة ، مما يناسب تلك الصور ، مثل تقليد أصوات الطيور ، أو الحيوانات ، وسوف يحاول أن يقلد بحماس ما يسمعه من المربية ... ويلاحظ في هذه المرحلة ما يلي :

أ ـ أن تحتوي الكتب على صور مكبرة وملونة بألوان زاهية وأن تكون من الورق المقوى الذى لا يتأثر سريعاً بالماء أو البلل .

ب ـ تشجيع الطفل على تكرار الكلمات أو المقاطع التي تعلمها واستطاع النطق بها .

(٣) مرحلة تسمية الأشياء

في نهاية السنة الثانية من العمر تقريباً ، يبدأ الطفل في استعمال كلمات نابعة من نفسه مع الصور ، وهذا يعاونه على زيادة حصيلته اللغوية ، إنه يشير إلى الصور ويسميها : هذا قط .. هذا حصان .. هذه سيارة .. هذا قطار ... إلخ إنه يسأل الكبار عن الصور : «ما هذا ؟» فيسمع الإجابة وبالتكرار والربط بين الصورة واللفظ يتعلم الصغير ، أي أن الكتب أصبحت للطفل وسيلة اكتساب المعلومات .

(٤) مرحلة البحث عن المعاني وسرد القصص

وتبدأ هذه المرحلة بعد حوالي ثلاث سنوات ، فيها تبدو الصور للطفل وكأنها أشياء حقيقية حية ، فقد يقبل الطفل الصورة ، وقد يصدر أصواتا تدل على المشاركة الوجدانية ، ويخاطب الصورة ويتحدث إليها ...

ثم يحاول تفسير الصورة لغيره من الصغار فتكون الصور في هذه المرحلة وسيلة هامة لإثارة أحاديث متبادلة بين الأطفال والكبار أو الأطفال وبعضهم .

كما أن الكتب الموجهة للأطفال في هذه المرحلة ، يمكن أن تحتوي على صور متتابعة قليلة العدد ، تحكي قصة بدون أن يصحبها نص مكتوب .

وفي هذه المرحلة أيضاً يبدأ الأطفال بالاهتمام بأشكال الحروف بمثل اهتمامهم بالصور .

(٥) مرحلة ما بين الرابعة والخامسة من العمر

وفيها يجد الطفل متعة في مصاحبة غيره ، لهذا تزداد خبراته ومهاراته الاجتماعية ، فتفوق اهتمامه بالكتب ، وفي هذه المرحلة يجد الطفل متعة في الالعاب التي تثير الضحك ، والكلام الساذج ، حتى إن لم يكن له معنى ، ويتأثر بالجمل القصيرة ذات السجع ...

كما أنه يفضل الاستماع ـ عادة ـ إلى القصص ، وخاصة التي تدور حول البيئة التي تحيط به ، مثل الأب والأم والأخ .. أو الالعاب التي يلعب بها إذا كانت على شكل حيوانات ، أو عرائس ، ...إلخ وفي أثناء سرد القصة يحسن تسمية كل شخصية أو شيء بصفة يسهل على الطفل تمييزها ...

وليس من الحكمة أن نقص على الأطفال قصص الغيب من عفاريت وأشباح ... إلخ ففي عالم الأطفال تختلط الحقيقة بالخيال .

٤ ـ مكتبة خاصة بالطفل

من الوسائل الهامة التي تعين الأسرة على تنمية علاقة أطفالها بالكتب ، هي أن تنشئ

لهم مكتبة خاصة بهم ، يحفظون فيها كتبهم ، فتشجع فيهم الاعتزاز بامتلاك الكتب ، كما تعودهم كيف يحافظون على الكتب ؟ وكيف يتعاملون مع الكتاب معاملة حسنة ؟.

إن مكتبة الناشئ في البيت قد تكون صغيرة ، وقد تكون عبارة عن رف واحد ، أو صندوق واحد ، لكنها ملك له ، تساهم في تكوين شخصيته وتنمي علاقته بالكتاب .

وإذا رغبنا أن يقرأ أطفالنا ما تحتويه مكتباتهم من الكتب ، فيجب أن نقدم لهم الكتاب المناسب للعمر ، مع وجوده في مظهر جذاب ، يدفع ويشجع الطفل على الاقبال عليه وقراءته .

ولا يكفي أن يكون الكتاب جذاباً ، بل يجب أن يكون مناسباً في موضوعه وألفاظه ورسومه لعمر الطفل الذي سيقرؤه . ففي أحيان كثيرة ينصرف الطفل عن قراءة كتاب جذاب في شكله وطباعته ، إما لأنه لا يناسب إلا سنّاً أصغر من سنّه ، أو لأنه موجه لعمر أكبر من عمره .

وتوجيه الطفل إلى الكتاب الذي يناسب عمره توجيها حكيماً دقيقاً ، هو أحد المهام الرئيسية للمربي . إن اكتساب الإنسان القدرة على اختيار الكتاب المناسب أمر يحتاج إلى خبرة ودراية وممارسة ، وإذا تركنا الطفل يتخبط حائراً في بحثه عن الكتاب الذي يناسبه فقد يصرفه هذا عن القراءة أصلاً ..

وليس من الخير أن تكون جميع الكتب في مجال واحد ، وإنما ينبغي أن تتنوع الكتب ، بحيث تغطي اهتمامات متعددة ، دينية وأدبية ، وخيالية ، وقصص علمية ، وتاريخية ... إلخ

ومن الأوفق أن ترتب الكتب في مكتبة الطفل ، وأن تنظم تنظيماً يسهل عليه الوصول إليها .

وأركز هنا ـ إن لم تتمكن الأسرة من تكوين مكتبة للطفل في البيت ـ على أهمية تشجيع الطفل وتعويده على الاستفادة من المكتبات العامة ، في المساجد

أو في المدرسة ، أو غيرها ... إن المكتبات من أهم وسائل التثقيف ، وهي في نفس الوقت من أسهل هذه الوسائل وجودا ، والأمر يحتم علينا الاهتمام بنشر مكتبات الأطفال على أوسع نطاق ممكن .

٥ ـ عوامل تنمية عادة القراءة

سأقتصر هنا على ذكر عدد من العوامل لأهميتها

(١) سهولة وصول الطفل إلى الكتاب ؛ فلا أهمية لكثرة ما ينشر من كتب الأطفال ، مالم تصل إلى أيديهم ، فالطفل الذي يجد صعوبة في الحصول على الكتب ، لن يقرأ إلا القليل ما لم تصل أيديهم ، فالطفل الذي يجد صعوبة في الحصول على الكتب ، لن يقرأ إلا القليل الذي يتمكن من الوصول إليه ، وبذلك تبقى خبرته في القراءة واهتمامه بها محدودة .

أما الطفل الذي يكون له اتصال دائم بالكتب المفيدة والمناسبة فقد تهيأت له الفرصة لأن يجد في القراءة وسيلة من أهم وسائل النمو واكتساب المعرفة والترويح عن النفس ، ومتى أصبحت القراءة عادة عند الطفل ، فإن الألفة مع الكتب تؤدي إلى ذلك النمط من المشاركة ، الذي يصبح فيه الكتاب صديقاً للطفل ومسلياً له .

(٢) تهيئة الظروف والجو الذي يشجع على القراءة ؛ فالطفل الذي ينشأ في بيت يجد فيه الكتب الخاصة به ، والقريبة منه ، ويرى من والديه واخوته الكبار العناية بالكتب والاهتمام بالقراءة سيتشجع على القراءة ، وتنمو قدرته على القراءة بنفس الأسلوب الذي تنمو به قدرته على المشي وعلى الكلام .

إن الطفل يولد ولديه الدافع إلى التعرف على الكتب والاهتمام بها ، وعلى المربين أن يستثمروا هذا الدافع ، بتقديم الكتب المناسبة لكل مرحلة من مراحل نمو الطفل .

(٣) الأسلوب الذي يُتّبع في التربية والتعليم ؛ لما كان حب الأطفال للقصص والحكايات شديداً ، وكان الأسلوب القصصي بما فيه من تشويق وخيال ، وربط

للأحداث ، هو الوعاء الذي نصب فيه ما نريد تقديمه للطفل ، مع مراعاة أهمية الاستفادة من مجموعة الكلمات التي تعلمها الطفل ، وأن تستخدم الكلمات التي تناسب عمره الحسية منها والمعنوية ، والتي ترتبط بالحواس الظاهرة عند الطفل ، إذ أن الأطفال يتعرفون إلى العالم المحيط بهم عن طريق حواسهم أكثر مما يتعرفون عليه بالكلمات التي تحتاج إلى شرح معانيها .

---

(١) راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني ج١ حديث رقم ٢٤٢

(٢) حديث صحيح أخرجه الشيخ ناصر في صحيح أبي داود ، وانظر صحيح الجامع رقم ٣٩١٤

الفصل الرابع :
اللعب ودوره في حياة الطفل وتربيته

عرّف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور لفظة لعب الواردة في الآية رقم ٢٠ من سورة الحديد التي يقول الله تعالى فيها : « **اعلموا أنّما الحياة الدّنيا لعب ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم . . . الآية** » . فقال : «اللعب ؛ اسم لقولٍ أو فعل يراد به المزح والهزل لتمضية الوقت أو إزالة وحشة الوحدة ، أو السكون ، أو السكوت ، أو لجلب فرح أو مسرةٍ للنفس ، أو يجلب مثل ذلك للحبيب ، أو يجلب ضده للبغيض، واللعبُ هو الغالب على أعمال الأطفال والصبيان ، فطور الطفولة هو طور اللعب ، ويتفاوت غيرهم في الإتيان منه ، فيقل ويكثر بحسب تفاوت الأطوار الأولى من الإنسان ، وفي رجاحة العقول وضعفها ، والإفراطُ فيه من غير أصحاب طوره يؤذن بخسة العقل »[1]

واللعب سلوك طبيعيّ تلقائيّ يسلكه الإنسان لإشباع رغبة أو ميل عنده ، لذلك فلابد من الاهتمام بوقته ونوعه ، وتوجيهه بما يحقق الفائدة البدنية والذهنية ، بل واستخدامه تربوياً بما يحقق التربية الخلقية والاجتماعية ؛ والمحدثون من علماء التربية يعتبرون اللعب وسيلة فعالة لتنمية قدرات الطفل ، وخاصة الذكاء والتفكير الابتكاري .. كما يمكن اكتشاف مواهب الطفل والتعرف عليها من خلال مراقبته أثناء اللعب وفي فترات مختلفة .

ولقد أدرك المربون المسلمون حاجة الأطفال إلى اللعب ، كما أدركوا أن الجسم المريض لا يُمكّن الإنسان من تحصيل العلوم بدرجة كافية ، بسبب تأثر الفهم بمرض الجسم ، وقديما قالوا : « العقل السليم في الجسم السليم » ؛ فنصح المربون أن يواصل التلميذ الدرس ما نشط عقله وفطن ، فإذا أحس في عقله فتورا فليتوقف عن الدراسة وليلجأ إلى اللعب ، فإن العقل المكدود لا يستوعب ، ولا

يُمكّن صاحبه من التعبير الصحيح عن مقصوده . قال الامام الغزالي ـ رحمه الله ـ: «وينبغي أن يؤذن له ـ أي الطفل ـ بعد الانصراف من الكتّاب **أن يلعب لعباً جميلاً** يستريح إليه من المكتب ، بحيث لا يتعب في اللعب ، فإنّ منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعليم دائما يميت قلبه ، ويبطل ذكاءه ، وينغص عليه العيش **حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه** رأساً .. كما ينبغي أن يُعلَّم احترام من هم أكبر منه سناً وأن يترك اللعب بين أيديهم »[٢]

رخّص الإسلام باللعب المباح ودلت الخبرة على فائدته

رخّص الإسلام في الألعاب الترويحية والجادة ما دامت في حدود المباح ، كما أذِن باللعب في مناسبات معينة ، فقد ورد عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : قدم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : « ما هذان اليومان ؟ « قالوا : كنّا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما : يوم الأضحى ويوم الفطر »[٣]

كما رُخّصَ للأطفال في الألعاب التي تُصنع على شكل عرائس أو حيوانات ، فإن هذه الصور تمتهن باللعب وعبث الأولاد بها ، فعن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : « كنت ألعب بالبنات عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان لي صواحب يلعبن معي ، فكان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا دخل يتقمعن منه (أي يختفين منه) ، فيُسرِّبُهن إلي ، فيلعبن معي »[٤] وفي رواية أخرى ، أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لها يوماً : « ما هذا ؟ » قالت : بناتي . قال : «ما هذا الذي في وسطهن ؟ » قالت : فرس . قال : « ما هذا الذي عليه ؟ » قالت : جناحان . قال : « فرس لها جناحان !؟ » قالت : أوما سمعت أنه كان لسليمان بن داود خيل لها أجنحة ؟! فضحك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى بدت نواجذه »[٥]

« وقد كان المربون المسلمون يدركون أن من طبيعة الطفل أن يكون نشيطاً

كثير الحركة ، وكانوا يغذون فيه هذه الطبيعة لعلمهم أن في نشاط الجسم يقظة العقل وصفاء الذهن ، وكانوا يرون أن من غير الطبيعي أن يكون الطفل هادئاً ساكنا ، ويرجعون سكونه إلى مرضٍ أصابه أو بأس نزل به ، فالمربون المسلمون جعلوا للّعب مكانته في التربية ، غير أنهم اقتصروا على الجانب الترويحي منه بعد الفراغ من العمل ، ولم يذهبوا مذاهب المحدثين في جعل اللعب جزءا من العمل التربوي ، وفي جعل العمل التربوي يتم عن طريق اللعب »[٦]

وبالرغم من أن الشرع الإسلامي رخّص في اللعب ، وبالرغم مما نادى به المربون المسلمون ، فإن كثيراً من الآباء والمربين في هذه الأيام يرفضون اللعب ولا يؤمنون بفوائده ، وقد يظهرون شعورهم بالاستخفاف باللعب والتنكر له وإزدراء من يفعله ، مما يدفع الصغار للعب خلسة ، أو يلعبون في أوقات غير مناسبة ، حيث أن اللعب في عرفهم جريمة يتنكر لها الكبار ، وربما لجأ الطفل إلى الكذب ليخفي مظاهر اللعب عنده ، وموضوعياً وتطبيقياً لا يمكن إحكام مراقبة الطفل بحيث يمنع نهائياً عن اللعب ، وسواء رغب الآباء أم كرهوا ، لا بد للأطفال من اللعب حتى ولو في غفلة من الوالدين .

لذا ينبغي على الوالدين والمربين والمنظمات الاجتماعية المختلفة والتي لها علاقة بتربية الأطفال ، وضع برامج للعناية بالأطفال ورعايتهم ، وذلك بإعدادهم بدنياً عن طريق التربية الرياضية ، وإعدادهم ذهنياً عن طريق الألعاب الهادفة ، كل ذلك لا بد أن يتم وفق برامج شاملة ومتوازنة ، بحيث لا يكون اللعب هنا على حساب الدراسة أو التفريط في العبادة ، أو التأثير على الجوانب الأخرىٰ في عملية التربية .

اللعب في فترة الحضانة

تشمل هذه المرحلة وقت الرضاع ثم الفطام وحتى قبل السنة السابعة من حياة الطفل ، وتتميز هذه المرحلة بغلبة الناحية العاطفية والوجدانية عند الطفل

مع نمو الناحية الذهنية وإزديادها ببطء في السنوات الأولى ، وفيها يغلب على حركات الطفل ـ حين يبدأ الحركة ـ التقليد لغيره ، وعندما يبدأ التمييز فإن تفكيره ينحصر في ذاته ، ويتأثر كثيرا بالبيئة المحيطة به ، وتتسع معلوماته من سنة لأخرى ...

وهذه المرحلة هي أخطر المراحل في حياة الطفل، فإذا أسيئت معاملته فيها تتكون عنده العقد والمركبات النفسية ، لذا سبق الإشارة إلى وجوب العناية بالطفل فيها ورعايته رعاية صحيحة(٧)

وسوف أركز هنا على أهمية اللعب ودوره في هذه المرحلة ، إذ أنه هو الغالب على هذه الفترة من عمر الطفل ، فمن البدهي الاهتمام بألعاب الطفل واختيار الصالح والمناسب منها والذي يتناسب مع ازدياد عمر الطفل ، علما بأن بعض الألعاب التي قد تلفت نظر الصبي إليها قد تكون محاكاة ميدانية لأعمال مستقبلية في هذه الحياة عندما يكبر هذا الصبي ، فقد يهتم الصبي بطائرته أو سفينته ويزعم أنه قائد أو ربان .. ، كما قد تحنو البنت على عروستها وتزعم أنها ابنتها .. ، وفي هذه المرحلة قد يساعد اللعب على استقلال الطفل وتحقيق الفطام النفسي بينه وبين أمه .

وبالملاحظة تبين أن الطفل يميل في بادئ الأمر إلى اللعب الفردي ، ثم يزداد ميله إلى اللعب المشترك ، وهنا على الوالدين والمربين اغتنام الفرصة لتنمية السلوك الاجتماعي عند الطفل ، وتعليمه النظام والترتيب والتعاون عن طريق إختيار الألعاب المناسبة والتي تمكّن من تحقيق ذلك .. كما ينبغي التقليل من الألعاب الإيهامية، والاستعاضة عنها بالألعاب التي تنمّي الذكاء والملاحظة ، وتعين على تنظيم الحركات وتدقيقها ، والألعاب التي تكسب القدرة على التحليل والتركيب .. والمربي الخبير صاحب التجربة هو الذي يختار الوقت المناسب واللعبة المناسبة بحيث تعين الطفل على التخلص من التوتر والقلق ...

ومن المفيد أن نعلم : « أن الأطفال الذين أتيحت لهم فرصة الالتحاق بدور

الحضانة أقدر من غيرهم على إقامة العلاقات الاجتماعية ، حيث أن تلك الدور بما تشتمل عليه من مواقف اجتماعية عديدة وخبرة ، إنما تثير الأطفال وتدفعهم نحو إقامة هذه العلاقات ، على نحو لا يتحقق للطفل الذي انعزل في بيئة المنزل المحدودة »[٧]

اللعب خلال الفترة من سنّ السابعة وحتى العاشرة

تعتبر هذه المرحلة من حياة الطفل من الأهمية بمكان ، ففيها يتم إعادة تصحيح النمو في المرحلة السابقة والإعداد لمستقبل الطفل الاجتماعي ، ففيها ينضج التفاعل الاجتماعي لدى الطفل ، ويصبح أقل اعتماداً واتكالا على غيره ، ويميل إلى التكامل ضمن مجموعة أو أكثر من الأطفال ، ويميل الطفل إلى الألعاب الجماعية والألعاب التي فيها مغامرة والتي تتطلب منه بذل الجهد مثل الجري ولعب الكرة وركوب الدراجة وتسلق الأشجار ... الخ

ومن الملاحظ أن كثيراً من الأطفال في هذه المرحلة ينمو عندهم الولاء والحب والتقدير للمجموعات التي اندمجوا فيها ، كما تنمو عندهم روح المنافسة المنظمة بين الجماعات ، ويميل الأطفال في هذه المرحلة إلى مقاومة تدخل الكبار في شئونهم ، وهم في هذه السن لا يميلون للاختلاط مع أطفال الجنس الآخر ، فالذكور يجتمعون وحدهم ، والإناث يتجمعن وحدهن ، وكل مجموعة تأتي من الألعاب ما ينفعها ويناسبها ، وقد تقع بين مجموعات البنين والبنات المنافسة ، وهنا يبرز دور المربين في توجيه الأطفال من الجنسين إلى الألعاب المناسبة ، وتظهر أهمية تربيتهم على خلق الحياء ، وعدم الاندماج في مجموعات سيئة الخلق ، وكذلك عدم السماح لهم بمزاولة الألعاب التي تهتك الحياء ، ويتعين مساعدة الأطفال على تركيز شخصياتهم ، باحترام الآراء الصحيحة ، وإعطاء فرصة للمناقشة التي تمكن من تصحيح الخطأ بأسلوب لين ، ثم تبصير الأطفال بحقوقهم وواجباتهم ، ومن المهم جداً

في هذه المرحلة الإجابة على الأسئلة التي يطرحها الأطفال بالأسلوب الملائم وبكل محبة وأمانة .

اللعب خلال الفترة من بعد العاشرة وحتى البلوغ

يتأثر الأطفال خلال هذه الفترة بخبراتهم الماضية تأثراً كبيراً ، كما يتأثرون بالبيئة المحيطة بهم ، وبمدى خضوعهم للجماعات التي اندمجوا فيها ، ويميل الأطفال في هذا السن إلى التجمع في جماعات لها تطلعات وأهداف مشتركة ، ويحاول الطفل أن يرضي جماعته فضلا عن الخضوع لنظامها ، وقد يشارك معها في جميع النشاطات فلا يقتصر على الألعاب الجماعية فقط ، حتى ولو كان نشاط أو أكثر من الأنشطة التي لا يقرها الآباء أو المعلمون ، فالطفل في فترة المراهقة يثق في جماعته ويحترمها ويقدرها أكثر من احترامه وتقديره للكبار ولو كانوا الوالدين ...

« ونلاحظ أن الفرد المدلل في طفولته يظل طفلاً في مراهقته ، ويعجز عن الاعتماد على نفسه ، ويتقهقر أمام كل أزمة تواجهه ، ويسفر بذلك كله عن تكيف اجتماعي خاطىء مريض ، والطفل المنبوذ في طفولته يثور في مراهقته ويميل إلى المشاجرة والخصومة ، وهو يسفر بذلك كله عن تكيف اجتماعي خاطىء مريض شأنه في ذلك شأن الطفل المدلل سواء بسواء »[٨]

وهنا يبرز دور النوادي الإسلامية ، وأهمية التربية الموجهة ، بالاضافة إلى الرقابة السديدة ، التي تساعد الشبيبة على اختيار المجموعة الصحيحة والألعاب النافعة والنادي الصالح .. .

دور المؤسسات الإجتماعية غير التقليدية في الألعاب

عرفت مؤسسات تقليدية لها دورها في تربية الأطفال هي الأسرة والمدرسة ، ومن الخطأ أن نتصور أن هذه المؤسسات هي وحدها التي تمارس العملية التربوية

في حياة الأطفال ، فهناك مؤسسات أخرى عديدة لها تأثيرها المباشر أو غير المباشر في تربية الأطفال ، من هذه المؤسسات وسائل الإعلام وخاصة الرائي «التلفزيون» والبيئة الثقافية ، والأطفال الذين يلعب معهم الولد في المدرسة أو الشارع أو النادي ، والأقارب والأصدقاء الذين يلتقي معهم في الزيارات أو في المساجد ... الخ .

بل إن النادي والجماعة التي يلعب معها الطفل قد يكون لهما التأثير الأكبر في تكوين شخصية الطفل وتكوين سلوكه الاجتماعي ، ولا شك أن الأجهزة «الترويحية» أقدر بطبيعتها على اجتذاب الناشئة والمراهقين، ولها تأثيرها البالغ على صحتهم البدنية والنفسية ، وأخلاقهم ، وبث القيم المختلفة والعادات في سلوكهم .

إن مثل هذه المؤسسات المنظمة تعمل على تنمية أعضائها والمترددين عليها ، عن طريق استثمار أوقات فراغهم في تنمية قدراتهم ومواهبهم ، وذلك وفق ميول الأطفال واستعداداتهم ، تحت إشراف وتوجيه جهاز إداري متخصص خبير سبق إعداده إعداداً فنياً وبطريقة منظمة ، بعيدة عن العشوائية ، فإذا كانت هذه النوادي والمؤسسات الاجتماعية صادرة عن الإسلام وتعمل وفق نظامه ، كانت قادرة على غرس القيم والمفاهيم الإسلامية في حياة أعضائها والمترددين عليها ، وتربية الأطفال على الاعتزاز بالإسلام ، وتبث فيهم روح التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان ، وتنشئهم على أخلاق التواضع والاحترام للآخرين والإيثار وعدم الأنانية ...

عندها يصبح اللعب وسيلة من وسائل تربية النفوس والأبدان تربية إسلامية. فالله أسأل أن تلتفت الحركات والجماعات العاملة في الحقل الإسلامي إلى أهمية هذه المؤسسات الاجتماعية والاستفادة منها في تربية الشبيبة والله هو الموفق لما فيه خير الدنيا والآخرة والحمد لله رب العالمين .

. . . . . .

---

(١) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج ٢٧ ص ٤٠١

(٢) الإمام محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، دار المعرفة بيروت ، ج ٣ ص ٧٢

(٣) رواه أبو داود وصححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في تخريج كتاب مشكاة المصابيح ، ويمكن لمن يريد التوسع في هذا الموضوع الرجوع للعدد ٨٢ من مجلة الرائد في موضوع «حول يوم العيد»

(٤) رواه البخاري وغيره بهذا اللفظ وللحديث روايات أخرى في مسلم وغيره

(٥) رواه أبو داود وخرجه الشيخ ناصر في آداب الزفاف وقال صحيح .

(٦) الدكتور محمد منير مرسي ، التربية الإسلامية ـ أصولها وتطورها في البلاد العربية ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٧ م ص ٩٨

(٧) د . يوسف مصطفى القاضي والدكتور محمد مصطفى زيدان ، السلوك الاجتماعي للفرد ، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨١ ، ص ١٧

(٨) المرجع السابق ص ١٩ .